

العدد الثامن

العدد الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَقْبَلُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
يسبقها عبدة أعداد

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

سيد رمضان

الإدارة :

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

١٠٠ من سنة كاملة

٦٠ من نصف سنة

الطلاب وجنود الجيش

٨٠ من سنة كاملة

٤٠ من نصف سنة

٢٥ من ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

يونيه سنة ١٩٥٣

شوال سنة ١٣٧٢

هذا القرآن

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

ببإيه في مناسبة غزوة بدر :

لما خرج الرسول عليه السلام إلى لقاء أعدائه في وقعة بدر لم يخل هذا الخروج من متاعب فقد جادله في الحق قوم وكرهوا أن يخرجوا معه وفي ذلك يقول الله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » . فهو قد أخرج الله من بيته بالحق ووجد قوما يجادلونه بعد ما تبين لهم الحق جدالاً عنيفاً يريدون أن ألا يخرجوا ، فلم يتأثر رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك ولم يستمع إلى قول المشركين الذين لا يريدون قتالاً في سبيل نصرته عقائدهم .

ثم إنه ذهب يريد شيئاً وأراد الله شيئاً آخر . أراد الرسول وأصحابه أن يلحقوا بعير أبي سفيان تعويضاً لهم عما أخذت قريش من أموالهم حين الهجرة ولكن أبا سفيان انحاز إلى الشاطئ وأنت قريش بجيها ورجلها تريد أن تحارب الرسول وتقضي على

العدد الثامن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الثاني

الاشتراكات

١٠٠ من سنة كاملة
٦٠ من نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ من سنة كاملة
٤٠ من نصف سنة
٢٥ من ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
يحتويها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

يونيه سنة ١٩٥٣

شوال سنة ١٣٧٢

هَذَا الْقُرْآنُ

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

ببابه في مناسبة غزوة بدر :

لما خرج الرسول عليه السلام إلى لقاء أعدائه في وقعة بدر لم يخل هذا الخروج من متاعب فقد جادله في الحق قوم وكرهوا أن يخرجوا معه وفي ذلك يقول الله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » . فهو قد أخرجه الله من بيته بالحق ووجد قوماً يجادلونه بعد ما تبين لهم الحق جدالاً عنيفاً يريدون أن ألا يخرجوا ، فلم يتأثر رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك ولم يستمع إلى قول المشركين الذين لا يريدون قتالاً في سبيل نصرته عقائدهم .

ثم إنه ذهب يريد شيئاً وأراد الله شيئاً آخر . أراد الرسول وأصحابه أن يلحقوا بعير أبي سفيان تعويضاً لهم عما أخذت قريش من أموالهم حين الهجرة ولكن أبا سفيان إنحاز إلى الشاطيء وأنته قريش بخيلها ورجلها تريد أن تحارب الرسول وتقضي على

دعوته وهنا يقع في قلوب بعض الناس أن الغاية التي جاءوا من أجلها قد انتهت وأن أبا سفيان قد فاتهم بما معه من عروض التجارة التي كانوا يطعمون في غنمها وأنه لا ضرورة لقتال قريش ولكن الله تعالى كان قد رآهم أن الخير كل الخير في قتال قريش لأنهم الفئة ذات الشوكة التي إن انهزمت فقد انهزم الشرك كله وأخذت الدعوة سيلاً إلى الديوع والإنتشار وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » .

التقى الجمعان وكان المسلمون قلة آمنت بحق ، وكان المشركون كثرة تجمعت على باطل . لذلك وجد الإبن يقاتل أباه والأخ يقاتل أخاه ووجدت صلة الأخوة في الله بين المسلمين أقوى من صلة الدم ، أقوى من القرابة القريبة « قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة عشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره » .

انتصر المسلمون ، انتصر الحق على الباطل ، فلنتأمل في عوامل هذا العصر لعنا نفيد منها شيئاً .

فأول هذه العوامل : الإيمان : الإيمان الذي لا يخالجه شك . إن قلوب المؤمنين كانت عامرة بالإيمان . كلهم آمن بأن الموت حق وأن الحروب لا تقصر الآجال ، وأن القعود في البيوت لا يطيلها « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الدين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها وعملها » . والذين يمنون على أمتهم بأهم ضحوا بأرواحهم لم يقدموا في حقيقة الواقع شيئاً . وإنما يجب عليهم أن يشكروا الله أن وفقهم لهذه التضحية فلنؤمن بالله وبحقنا ولنؤد ما يفرضه علينا الحق تعالى غير خائفين من الموت ولا مما يخيف الناس عادة « لا يبلغ العبيد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه أبداً ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه أبداً طويت الصحف وجفت الأفلام » .

ومن عوامل النصر أنه يجب علينا حين نعتقد أمراً لا نلتفت إلى تثبيت الشيطان ولا تخذيل المخذلين بل نغضى فيما اعتزمنا بعد تدبر وتفكير تدود عن أفكارنا ما عسى أن يكون علق بها من دواعي القعود — وإن لمبطين والمخذلين طرقاتاً غاية في البراعة يلبسون فيها الحق بالباطل حتى يشتبه الأمر على الناس ، فليحذر الاحوان أن يستمعوا

إلى شيء من ذلك أو أن يسرعوا إلى تصديق الأخبار التي تذاغ فإن أغلبها مما يرجف به للعرضون .

ومن دواعي النصر تفويض الأمر لله تعالى والرضى بما اختار والاعتقاد بأن الخير كله في ذلك . فالخير الذي نجم عن فوات أبي سفيان للرسول وكان قد خرج للقائه ، ثم لقاء قريش وحربها والانتصار عليها وهي الفئة ذات الشوكة لم يكن هيناً في تاريخ الاسلام بل كان شيئاً خطيراً فقد انتصرت فئة قليلة على فئة كانت ثلاثة أضعافها فأدى ذلك إلى علو مكانة الاسلام وهيته في نفوس العرب وإلقاء الرعب في نفوس المعاندين . وهذا وذلك من عوامل قوة الدعوة وإضعاف خصومها .

إن الله تعالى قد أمرنا بأن نتخذ العدة فقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » وهذه هي سنة الله الكونية في الأمم والشعوب . وإعداد القوة لا يقتصر على القوة المادية ، ولعل قوة النفس بالايان وتحسينها بالتقوى والبعد عن المعاصي تقع في المرتبة الأولى من وسائل الإعداد ، ولكن لا ينبغي لنا أن نعتقد أن العدة وحدها كفيلة بالنصر فالله تعالى قد اختص نفسه بذلك ونهانا عن أن نظن في العدة وحدها طريق النصر وقد ذكر ذلك في آيات كثيرة من القرآن « ولقد نصركم الله يندر وأتم أذلة » « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » . « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » — لذلك كان رسول الله عليه الصلاة والسلام في يوم بدر يدعو الله في عريشه أن ينصر المسلمين ويبلغ في دعائه مع أن الله وعده النصر ولعله فعل ذلك مخافة أن يختلج قلب مسلم بالظن بأن العدة كافية أو أن يختلج قلب مسلم بمعصية فيحبط عملهم فعلياً أيها الإخوان أن زود أنفسنا بالقوة : قوة الإيمان وقوة التقوى وقوة الأخلاق وقوة الاستقامة وأخيراً القوة المادية بجميع أنواعها .

أيها الإخوان : إن مما يمتاز به دعوتكم أنها تذكر الناس بقرآنهم وسنة رسولهم . هذا القرآن الذي طالما قرأه الناس على الأموات وما أنزله الله إلا ليقراء الأحياء فيكون لهم به حياة . وصدق الله العظيم : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم » ومن ثم يقرؤه الإخوان المسلمون معاني لألفاظا ، يقرءونه وطنية وأخلاقاً واجتماعاً وما أشد حاجة الناس إلى هداية القرآن في هذه النواحي . لو كان أعداؤنا يعرفون أن القرآن يقرؤه المسلمون اليوم كما كان يقرؤه المسلمون في الصدر الأول ويتأثرون به كما كانوا يتأثرون وأن قراءته تهز شعرة واحدة في أبدان المسلمين

لما أذاعته على المسلمين إذاعات لندن وباريس وإسرائيل ، ولكنهم يذيعونه على أن المسلمين يطربون له كأنغام توقع للتسلية وتقضى بها أيام المآثم والأفراح ثم لا شيء وراء ذلك .

أيها الإخوان : إن دعوة الإخوان المسلمين لم تبد دعوة محلية في حدود وطن صغير ، وإنما غدت دعوة عالمية تشمل العالم الإسلامي بأسره وتوقظ في المسلمين روح الفزة والكرامة والتقوى ، فهي اليوم عنوان انبعاث لا نوم بعده وتحرر لا عبودية معه . وعلم لا جهل وراءه . ولم يعد من السهل على أية طائفة أن يحول دون انتشار هذه الروح أو امتدادها ، وما ذلك إلا لأنها تصير صادق عن شعور عميق يملأ نفوس المسلمين جميعا ويستولى على مشاعرهم وعقولهم وهو أنهم لا يستطيعون اليوم نهضة بدون الإسلام . فالإسلام في حقيقته ضرورة وطنية واجتماعية وإنسانية .

هو ضرورة وطنية لأن الوطن في حاجة إلى قلوب أبنائه وسواعدهم وتضحياتهم ، وليس كلهم عامل قوى يبعث في نفوس المثقفين وعامة الشعب على السواء حب الوطن والتضحية في سبيله والقدود عن كيانه . والتاريخ الإسلامي القديم وعظمته ليست إلا أثرا بيننا أوجد الدين في نفوس المسلمين الأوائل من هذه الحياة المليئة بأروع معاني التضحية والإيثار . وفي عصرنا الحاضر امتطاعت الدعوة الإسلامية أن تجي هذه المعاني بملأ رآه الناس من ضروب التضحية والفداء في حرب فلسطين ومعركة القنال الأولى على أيدي الإخوان المسلمين ولو أن جميع من اشتبكوا في حرب فلسطين كانت بملأ نفوسهم تلك الروح التي فيها الدين في نفوس الإخوان المسلمين لتغير مصير المعركة من هزيمة إلى نصر . إن الجيوش لا تنتصر بقوة السلاح حسب ولكنها تنتصر بقوة الروح المعنوية قبل كل شيء ، وقادة الجيوش في العصر الحديث يحرصون على الروح المعنوية في جيوشهم بوسائلهم الخاصة ، ونحن المسلمين لا نجد أذكي لهم الروح من الدين حين يفهم على وجهه الصحيح .

والدين ضرورة اجتماعية ؛ فكل الغيورين على مصالح الشعب وكرامته يشعرون معنا بأن مجتمعنا مليء بالنقااص والمفاصد وأن الواجب يحتم علينا المبادرة إلى معالجة هذه النقااص والمفاصد من أقرب طريق وأحكمه ولا يشك كل من درس الإسلام بروح منصفة وعرفه على حقيقته من مصادره الصافية في أنه خير وسيلة لإصلاح العيوب التي نشعر بها في وطننا وأسرع طريق للوصول إلى الإصلاح الذي ننشده ، ذلك لأنه يكفل لكل مواطن حقه في العلم والعقيدة والعبادة والحياة الكريمة التي من ضرورتها في الإسلام السكن الصالح والنعماء الصالح والملبس الصالح والعلاج السكافي ، كما أن من ضرورتها توفير الكرامة لكل إنسان حق لا يهان بشتم أو تحقير أو عقوبة بغير حق .

والإسلام يسخر قوى الدولة كلها لتعديق هذه الضرورات المواطنين جميعا ولا يترك أمرها لضئار الناس حين تغفل القيام بواجبها ، ولعل مما يحمله كثير من الناس أن من مقاصد الجهاد في الإسلام رفع الظلم بمختلف أنواعه عن الضعفاء والمظلومين في الأرض « وما لكم لا تقاوتون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

إن هذه المبادئ التي ينادى بها الإسلام لإصلاح المجتمع هي جزء من نظامه العام وعقيدته الشاملة وهو بذلك يلامس عقائد الناس وضماؤهم فالاستجابة إلى هذه المبادئ التي ينادى بها الإسلام هي في نظر المسلم فرض يجب تحقيقه كالصلاة والصيام فلماذا تترك هذا السلاح الفعال السريع في إصلاح أحوالنا ؟

أما الخوف من أن تؤدي الاستفادة من الإسلام في إصلاحنا الاجتماعي إلى الإساءة لإخواننا المواطنين من غير المسلمين فهو خوف لا محل له لأن ما يستفيد المجتمع من إصلاح الإسلام يشمل الناس جميعا وخير لغير المسلمين أن يعيشوا في مجتمع تكفل فيه أسباب السعادة والعيش الكريم وتحكمه مبادئ الأخلاق الفاضلة التي نادت بها الشرائع جميعها من أن يعيشوا في مجتمع مضطرب كمجتمعنا الحاضر يفيض بالمآسى والمظالم .

ومن الضرورات الاجتماعية التي تحتم الاستفادة من الإسلام في وضعنا القائم أنه خير علاج للقضاء على التعصب الديني الدميم والنعرات الطائفية البغيضة ، فالإسلام قدر الحقيقة الواقعة وهي اختلاف الناس في أديانهم وقدر الحاجة إلى تعاونهم في الحياة مع اختلاف أديانهم فأمر المسلمين باحترام عقائد الآخرين وحرية عباداتهم بل أوجب علينا الإيمان بالأنبياء السابقين وكتبهم المنزلة « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ومن أجل ذلك كان من الجمع عليه في الإسلام أنه لا يجوز شتم أهل الكتاب في دينهم وأنبياهم وكتبهم . ومن الظواهر البارزة في تاريخ الإسلام كله أنه لم تحاول دولة من الدول الإسلامية سواء كانت في عصور العزة والعلم أم في عصور الضعف والجهالة أن تتدخل في شئون غير المسلمين الدينية بل كانت تترك لهم حرية التحاكم إلى محاكمهم المالية في أحوالهم الشخصية، وكل ماله علاقة بعقائدهم .

فعل المسلمون هذا في مختلف العصور لا بحاملة ولا تفضلا بل نزولا على حكم الإسلام ولو أمرهم الإسلام بغير ذلك لفعلوا — ونزيد على ذلك أن ما أوجبه الإسلام على المسلمين من آداب للمعاملة في الجوار لم يفرق فيه بين مسلم وغير مسلم بل قال الرسول عليه السلام : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » — هذا هو موقف الإسلام وعمله في القضاء على التعصب الطائفي لا كما يظنه المفرضون على الإسلام والجاهلون به .

والإسلام ضرورة إنسانية فإنه أمر بالتعاون بين الشعوب على أساس الحق والكرامة ومبادئ العدالة المطلقة التي لا تتأثر بالمصالح الشخصية والفروق الجنسية « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهو دين سلام ، ولذلك كانت تحية المسلمين السلام وختام عبادتهم السلام واسم الله السلام وتحيته لعبادة يوم يلقونه سلام ، بل إن هدف الإسلام هو إيصال الناس إلى طرق السلام « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » ولهذا وجب على المسلمين كافة أن يدخلوا في السلم ولا يجوز لهم القتال إلا دفاعاً للعدوان عن أنفسهم وعن غيرهم .

وإنما يعكر صفو السلام بين شعوب الأرض اليوم أن قادة هذه الشعوب لا ينظرون إلى مصلحة الإنسانية مجتمعة وإنما ينظرون إلى مصلحتهم ومصلحة شعوبهم فهم يدعون إلى السلام في جو من الحقد والجشع والتعصب وهي من أكبر عوامل الحروب بين الشعوب . فهذه الدعوة التي تتصاعد من هنا وهناك للسلام من رجال يصرون على استعمار الشعوب واستلاب خيراتها والعدوان على كرامتها ليست إلا نفاقاً وخداعاً يستحق الرثاء .

أيها الإخوان : نحن نحكي هذه الدكريات لتحدث عن الماضي فنعتبر به وعن الحاضر فنذكر أنفسنا بما يجب علينا القيام به — وقد حدثكم عن العبر المستفادة من وقعة بدر وعن الإسلام كضرورة وطنية واجتماعية وإنسانية — والآن أحدثكم عما يهمنا من شئون الحاضر :

لقد كنا نود أن تنتهي المحادثات التي جرت بين الحكومة المصرية والإنجليز بالاعتراف بحق مصر في الجلاء الناجز فنوفر على البلاد مجهوداتها وأموالها وأوقاتها لتدعيم نهضتها في الإصلاح والتعمير وتمكين مصر من خدمة قضايا شقيقتها العربية والإسلامية والمساهمة في قضية السلام العام الذي يتطلع إليه العالم ولكن للطامع الاستعمارية

تغلبت على الإنجليز وأبت أن تعترف بحقنا في السيادة الحقيقية على أرضنا وتذرعت بأسطورة الدفاع عن العالم الحر لتبقى جيوشها مثلاً للعدوان على شعب حُرّ يريد أن يعيش قوياً وكراماً وبذلك أصبحت مصر في حل من أن تسلك كل طريق يؤدي بها إلى تطهير أرضها من الغاصبين .

والإخوان المسلمون يضعون كل إمكانياتهم رهن وصول مصر إلى حقها الكامل لا يضمنون في سبيل ذلك بدماهم ولا بأموالهم ولا بجهودهم . وإن لهم من إيمانهم وصدق وطنيتهم وقوة تربيتهم ما يجعلهم قادرين على تحمل الأعباء الجسيمة في معركة مصر المقبلة . وإذا كان غيرهم يعتبر قيامه بهذا الواجب مما تفرضه عليه الوطنية فإن الإخوان يرون في قيامهم بنصيبتهم في تلك المعركة عبادة يتقربون بها إلى الله ويشترون بها الجنة .

وإننا مع هذا نتابع جهودنا في ميدان الإصلاح الداخلي متعاونين مع كل من يريد الإصلاح والخير لهذا الوطن مؤيدين رجال العهد الحاضر في ذلك تأييد الكريم للكريم لا بألوه عوناً إن أصاب ولا نصحاً خالصاً إن أخطأ معرضين عن كل ما يحاوله أعداء الإصلاح في عهده الجديد من إغفار الصدور وتفريق الصفوف . وموقفنا هذا مما يفرضه حق الأمة والوطن على جماعة تدعوا إلى الله وتحمل لواء الإصلاح لا تبتغي من الناس جزاء ولا شكورا . وليس علينا بعد ذلك أن تكون نصيحتنا مقبولة أو غير مقبولة ونحن لا ندعى العصمة في الرأي وإنما نسأل الله للناس التوفيق والسداد . وإذا كنا قد أعلننا عن استعدادنا للعمل لتحرير مصر من كل أثر للاحتلال ، فإننا نعلن بهذه القوة نفسها وهذا العزم نفسه عن استعدادنا للعمل على تحرير الشعوب العربية والإسلامية من الاستعمار والاحتلال حتى يتبوأ العالم الإسلامي مكانه اللائق به في عالم الحق والخير . وما دام الإسلام يعتبر معركة الحرية في بلاد الإسلام واحدة لا تتجزأ فإن على كل مسلم أن يساهم بنصيبه في تحرير الوطن الإسلامي من قيود الاستعمار وآثار الطغيان .

أيها الإخوان : إن الله جعلكم جنوداً لقضية الحق والفضيلة والعزة في وطنكم وفي العالم الإسلامي كله ، وإذا كان من واجب الجندي المخلص أن يكون مستعداً دائماً للقيام بواجبه في خوض المعركة ، فإن من واجبكم أن تكونوا مستعدين دائماً لما يؤدي بكم إلى النصر في ميادين الإصلاح والتحرير . فزكوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وحاربوا أهواءكم وشهواتكم قبل أن تحاربوا أعداءكم ، فإن من انهزم بينه وبين نفسه في ميدان الإصلاح أمحز من أن ينتصر على عدوه في معركة السلاح . وكونوا مثلاً حياً للأخلاق القرآنية حتى يعرفكم الناس بأخلاقكم قبل أن يعرفوكم بأقوالكم .

الجهاد في شريعة الله

لفضيلة الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ العريضة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — قال الله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم
لقدير » .

وقال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب
المعتدين » ثم قال سبحانه : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا
فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ،
وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .
تلك آيات الله الحكيم تشرع القتال ، وتُحرض عليه دفاعاً عن الحوزة ، وحماية
للبيضة ، وإقامة لشرع الله ، وصونا لحرماته ، ومنعاً لفتنة في الدين ، وحتى يكون الدين
كله لله ؛ وليكون الاختيار كاملاً في الدين ، ولحماية حرية العقيدة ، حتى يؤمن الناس
جميعاً لأنه لا إكراه في الدين ، إذ تبين الرشد من الغي .

٢ — فالآيات الكريمة بينت العلة الباعثة على القتال في الإسلام وغاياته ، ثم بينت
حدوده ونهايته . لقد بينت الآيات أن الباعث عليه الاعتداء الواقع ، أو المتوقع ،
والأذى المتواصل من المخالفين ؛ فشرع لرد الاعتداء وللدفاع ، وقد يلبس الدفاع لبوس
الم هجوم ، كمن يرى قوماً يتأهبون لغزو دياره ، وقد أعدوا العدة وأخذوا الأهبة ،
وهو متأكد لا محالة أنهم سينقضون عليه ، إن لم يباغتهم ، وسيغزونه في عقر داره ،
إن لم يسبقهم ؛ فإنه في هذه الحال يكون الدفاع المحكم أن ينقض عليهم قبل أن ينقضوا
عليه ، وأن يغزوه قبل أن يغزوه ، وأن يتغدهم قبل أن يتعشوه ، فإنه ما غزى قوم في
عقر دارهم إلا ذلوا كما قال فارس الإسلام طي بن أبي طالب .

٣ — ولقد رسمت الآيات الحدود ، فبينت أنه يجب أن يعامل العدو بمثل ما يعمل ؛
فإن أسر منا أسيراً منا ، وإن قتل أسراً قتلنا أسراً ، وإن استرق الأسرى منا
استرقنا الأسرى ؛ لأن رد الاعتداء يكون بمقداره ، وهو الذي قد اختار الاعتداء

لهو مل بما عامل الناس به ، من غير شطط ولا مجاوزة للحد ؛ على أن المسلم مقيد في قتاله بما لم يقيد به المخالف ؛ ذلك بأنه مقيد بأواصر الدين يحامل بها أعداءه وأولياءه ، حتى لا يسوغ للمسلم المشقة بأن يمثل بأجسام القتلى ، أو يشوه أعضاء الأحياء قصداً ، ولو كانوا هم يتخذون الملة ذريعة للاخفاف في الانتقام والأذى ، ولا يسوغ للمسلم أن يجمع الأسرى أو يتركهم حتى يموتوا جوعاً أو عطشاً ، ولو كانوا هم يفعلون ذلك ؛ لأن المسلم مقيد بالدين والحلق الكريم ، بل إن إطعام الأسير من أكبر المكارم في الإسلام فلقد قال تعالى في المحلصين من المؤمنين : « ويطعمون الطعام على حبه مسكناً ويتقىموا وأسيرا » فاعتبر إطعام الأسير بل إشارته بالطعام على النفس من أفضل صفات المؤمنين ، ولقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى بدر ، وأزله في بيوت الأنصار فكانوا في بيوتهم كأنهم الضيف المكرمون ، لا الأعداء المحاربون .

٤ — وجعل القرآن نهاية القتال زوال الاعتداء ، ومنع الفتنة أو انتهاءها ؛ وذلك لأن الذين يعتدون على المسلمين بوصفهم مسلمين ، إنما يريدون أن يفتنوا الناس عن دينهم ، ويضطهدوهم في اعتقادهم ، وهم بذلك يحاربون حرية العقيدة في أحسن أحوالها ، ويقتلون حرية الرأي في أقوى مظاهرها ؛ وتلك هي الفتنة في الدين ، والصد عن سبيل الحق ، ومحاولة إطفاء نور الله كما قال الله تعالى فيهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

فإن انتهوا فلم يحاربوا العقيدة ، ولم يضطهدوا المتدينين فإنه لا حرب ولا زال ، كما قال تعالى : « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

فالقرآن الكريم حد الباعث على القتال في الإسلام بالاعتداء من جانب الأعداء ، فإن اعتدوا أو تأهبوا للاعتداء ، أو كان الاعتداء منهم متوقعا ، وجب قتالهم ، فإن انتهى الاعتداء فلا قتال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

٥ — ولقد يقول قائل : كيف يباح القتال في الدين ، والأديان للهداية لا للقتال ، وللتبشير والإنذار ، لا للضرب والنزال ؛ وللسلم والفضيلة ، لا لهدم ما بناه الله في الأرض بقتل البشرية ، وسبي الذرية .

والجواب عن هذا أن ذلك مقصد الأديان في ليه ومعناه ، وغايته ومنتهاه ، ولكن أعداءها لا يتركون الهداية تسرى في مساريها في لين ورفق ، يهتدى من يهتدى ، ويضل من يضل « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها »

لا يقول أعداء الأديان لكم دينكم ولى دين ، بل يقولون إنه يجب أن يخضع الحق للباطل ، والنور للظلام ، والبصير للأعمى ، والهندي للضال ، وإلا فالويل والتبور وعظائم الأمور ، وعندئذ تنزل الشديدة بالمؤمنين ، ويكون الصراع بين الحق والباطل ، وبين النور والظلمة ، والهداية والضلالة ، فلا بد أن يكون للحق جولة ، ولا بد أن يكون لأهله صولة .

من أجل ذلك كتب القتال في الشرائع السماوية ، فقاد موسى وهرون بنى إسرائيل ليدخلوا الأرض المقدسة مجاهدين ولكنهم نكسوا على أعقابهم وقالوا لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » .

ثم جاء النبيون من بعد موسى فقادهم في حروب مظفرة دونتها كتبهم . وكتب الهدد القديم التي هي حجة عند اليهود والنصارى تفيض بأخبار الأنبياء الذين جاهدوا أو قادوا الجيوش ، وحملوا السيوف ، وأنزلوا بأعدائهم أشد البلاء ؛ حتى حملهم على الحق حملا .

٦ — إن الإسلام يطلب السلم ، ويريد ويدعو إليه ، وقتاله لجل الناس عليه ؛ فإن القتال أنفى للقتال ، والاستعداد للحرب أنفى للحرب ، ولا يؤثر نيران الحروب إلا ضعف الضعفاء ، واستعداد الأقوياء ، ولو علم القوى أن خصمه ذو ظفر وناب لَنَهَنَهُ من حدته ، وخض من شوكته ، وأحجم ولم يقدم ، وحيث كان التردد في النزال كان المنفذ إلى السلام .

وليس أدل على حب الإسلام للسلام من الدعوة الصريحة إليه في قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » . وإن السلم التي يدعو إليها الإسلام سلم عزيزة قوية ، وليست سلما ذليلة مستضعفة مستخذية ، فهي سلام ، وليست استسلاما ، وهي عزة ، وليست استخذاء ، وهي سلام يسوده سلطان الحق ، ولا يعكر صفوه لجلجة الباطل ، فإن اتجه ابن الإنسان ذلك الاتجاه فالإسلام أول من يذهب إليه ؛ أما إذا كان السلام معناه تمكين القوى من رقاب الضعفاء ؛ وتغليب الحق على الباطل ، ومنع الضعيف من أن يستغيث فإن الإسلام لا يقبله ولا يرضاه ؛ لأنه لا سلام مع الظلم ، ولا سلام مع أكل القوى لحق الضعيف ؛ إنه الحرب اللثيمة الحائنة الغادرة الماكرة ، وإنها فرض الدلة على رقاب الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً كما قال الإمام عمر رضى الله عنه ، وما كان لمتدين بهذا الدين

الحق أن يرضى بهذا لأنه الاعتداء الذي يجب رده ، والقدر الذي يجب كشفه بحمد السيف ، وهو أصدق إنباء من الكتب .

٧ — إنه حيث يسود السلام المطلق الذي يترك الناس أحراراً ، لا يحمل السيف إلا على من يعتدى على ذلك السلام الذي اجتمعت الشعوب والقبائل عليه ، وتعارفه الناس وتآلفوه ، ولا يمتشق أحد الحسام لأحد ، وتمتلى الأرض سلاماً وعدلاً ، بقدر ما امتلأت اليوم جوراً وبغياً . إذا كان سلام من ذلك النوع فالإسلام لا يرفع سيفاً ، وللسلم لا يغوض حرباً . ولكن هذا النوع من السلم حلم الفلاسفة والحكماء ، ولم يتحقق في الوجود الإنساني لأنه منذ نزل آدم إلى هذه الأرض والزراع في طبيعة هذا الوجود الإنساني ، فلقد قال تعالى لبني آدم والشیطان عندما نزلوا من جنة الله : « ولقد اهبطوا بعضهم لبعض عدو ، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » .

ومن يوم أن قتل ابن آدم أخاه ، والدماء من بني آدم تخضب الأرض ، وإن القرآن للتألو إلى يوم القيامة يذكرنا بهذه القصة التي تكشف عن طبيعة الأثرة في النفس البشرية ، وقوتها وما تؤدي إليه ، فقد قال تعالى : « واتل عليهم نبأ ابن آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ، قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين » .

فهذه القصة القديمة الموهلة في التقدم إلى الطبقة الأولى من أولاد آدم ، هي القصة الباقية إلى يوم القيامة . لقد قتل ابن آدم أخاه ؛ لأن عبادته لم تقبل وقبلت عبادة أخيه ، ونحن إلى اليوم نرى صورة هذا القتال ، بين أهل الديانات ، وإن لبس لبوس السياسة ، ونرى الاعتداء بسبب العقيدة ، وإن استتر تحت اسم آخر ، ونرى تعاوناً على الإثم والعدوان ضد أهل الحق وأهل التوحيد ، وإن حاولوا أن يخفوه فإله مبيد .

ونرى ابن الإنسان يخترع أدوات الفتك والإبادة لإخوته ، فلا يكون القتل بالآحاد بل بالجماعات ، بل بالمدائن والأقاليم ، فكلما كبر العقل الإنساني كبرت معه تلك الطبيعة الأرضية في الإنسان ، واتسعت آفاقها ، وتعددت أنواعها .

٨ — وإذا كانت تلك طبيعة الإنسان ، وأن الأثرة وحب الغلب والملطآن في طبيعة الإنسان ، فالحروب باقية ما بقيت هذه الدنيا ، ولا يسوغ لعاقل أن يلتفت إلى الدعايات التي تنادى بالسلام ليسكت الضعيف المغلوب على أمره وليتوزعوا الضعفاء أسلابة لمن يسبق إليها ، أو يجعلوها قسمة فيزى بينهم .

ولا بد للسلام وهو الدين الذي جاء لإيجاد مدنية فاضلة أن ينظم حربها وسلهها . وأن يجعل حربها في دائرة الفضيلة ، وهي الحرب التي لا اعتداء فيها من جانب المسلم ، ويقيد فيها بقيود من الفضيلة والخلق القويم ، فلا يسار خصومه في انتهاك حرمت الأخلاق إن انتهكوها ، بل يدفعهم إلى احترامها بقوة الجلال والجهاد . ثم لا بد أن تكون السلم التي يرتضيها هي السلم الفاضلة ، وهي السلم التي يقام فيها الحق ، وينشر فيها لواء العدل بين الأمم والجماعات ، وهي السلم العزيزة الكريمة التي لا يستذل فيها ضعيف ، ويؤمن فيها الخائف ، ويحمى فيها العائد ؛ وأنشئ يكون ذلك إلا لمن رحم الله ، ولمن آمنوا بالحق ، ولكن الناس إلى يوم القيامة منهم من آمن ، ومنهم من كفر فلا بد إذن من شرعية الجهاد .

٩ — شرع الله الجهاد في الإسلام ، وأوجب الله على المسلمين في كل مشارق الأرض ومغاربها أن يتعاونوا جميعاً على كل من يعتدى على مؤمن أيا كان مقامه ، وأن يردوا كيد المعتدين على الأقاليم الإسلامية وأن ينبذوا إليهم عهودهم على سواء ، إن اعتدوا على إقليم إسلامي مهما تناءت الديار ، وتباعدت الأقطار ؛ فإن المسلمين جميعاً أمة واحدة كما قال تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » فسلمهم سلم واحدة وحربهم حرب واحدة ، والمسلمون كما قال الرسول تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وإذا كان أدنى الأمة الإسلامية يعقد الذمة عليهم ، ويعضها إذ لا فرق بين صغير وكبير ، فكذلك من يعتدى على أحدهم فقد اعتدى عليهم ، ومن اعتدى على طائفة منهم فقد انتهك حمامهم ، ومن اقتطع إقليماً من أقاليم الإسلام فقد أعظم الاعتداء ، وعلى المسلمين جميعاً أن يتحفزوا للوثبة به ، وإلا فليعلموا أنهم ليس لهم من الإسلام حقيقته ومعناه ؛ لأن الإسلام دين الجهاد ، والجهاد فيه ماض إلى يوم القيامة ، وهو أوسع أبواب الجنة ، وهو سبيل الحياة الكريمة والموت العزيز .

١٠ — أيها المسلمون لقد نقض محمد صلى الله عليه وسلم عهد قریش لما اعتدوا على خلفائه ، ومن كانوا معه على ولاء ، والآن قد تضافرت أوروبا وأمريكا ضد المسلمين ، أفلا يسوغ لكل جماعة إسلامية أن تنقض عهود كل دولة أوروبية اشتركت في إنهم

الاعتداء على المسلمين ؛ إنها الهبة في الدين إن لم يفعلوا ، والهوان بالمسلمين إن سكتوا .
لقد أزالوا من رقعة الدولة الإسلامية أقاليم وشردوا سكانه المسلمين ، وتركوهم عراة
جانحين يأكلهم الحر والقر ، وهم يريدون بالأقاليم الأخرى المجاورة وبالا ، وبالإسلام
كله خبالا ؛ ومع ذلك لا تزال السكينة من المسلمين على ولاء مع المعتدين ، بل ذهب
بهم فرط حين الظن بهم أن يتكفؤهم الطعام لمن أجوعوهم ، والمأوى لمن شرودهم .
لقد أطمعنا الله هؤلاء الأعداء فينا ، فأخذوا يلتمحوننا إقليما إقليما ، وفي الماضي كانوا
يفرضون علينا الولاية بحكم الغلب والتهمر ، حتى إذا رفضنا هذه الولاية وناوأنها ،
أخذوا الآن يريدون لنا الفناء ، وقد ابتدأوا فأفنوا فلسطين ، كما أفنى الأسبان
الأندلس حنة الإسلام وزهرة تاريخها .

١١ — أيها المسلمون : إن مصر كنانة الله في أرضه في غلاب مع أشد الدول
نكية بالإسلام ، وقد أعلنها طاغوتها عليها حربا لا سلم فيها ؛ فأرعد وأبرق ، وهدد
وأثذر ، ولكن مصر التي ضرب جيشها التار في أقفيتهم بعد أن حطمت صخرتهم ،
وجعلتها جذاذاً في عين جالوت ، وأنقذت الحضارة الإنسانية ، مصر التي هذا ماضيها
الغابر ، وهي التي ناوأته غداة خرج يفرض إرادته على العالمين ، مصر التي يتلاقى
حاضرها الزاهر بماضيها الباهر تعد العدة ، وتأخذ الأهبة ، وتجتمع فيها القلوب وتستعد
للتضال مؤمنة بالله ، وبأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

وهي لا تريد من سيائر المسلمين أن يجاهدوا جهادها ، ولكن تريد منهم أن
يقاطعوا من يقاتلها ، وأن ينبذوا كل عهد لهم ؛ وألا يعاملوه ، وأن يضربوا عن متاجره ،
وأن يعتزلوه ، كما اعتزل الدين خلفوا في الأرض حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؛
فمعهذا يعلم أنه يلاقي خمسمائة مليون لا عشرين مليوناً ؛ وأنه أمام قوة مجتمعة لا أمام
قطيع يأكله شاة ، شاة .

إن مصر المجاهدة الصابرة المؤمنة ستلاقي عدوها كيفما كانت الجبال ؛ لأنها تعلم علم
اليقين معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « تضمن الله لمن خرج في سبيلي ، لا يخرج
إلا جهاداً في سبيلي ، وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة ، أو
أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ثالثاً ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد
بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم ،
ورجحه ميك ، والذي نفس محمد بيده لو لا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية
تغزو أبداً ، والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو
فأقتل ثم أغزو فأقتل » ، هذا هو شعار مصر اليوم .

تجديد الصلة بين عالم المادة وعالم الروح

لأبي نعمان المهاجر

في طبيعة الإنسان فطرة نزاعة به إلى عالم روحى مجهول ، وهذه الفطرة متأصلة في الإنسان منذ عهوده البدائية الأولى ، ولا تزال عريقة فيه ، ثابتة في جبلته ، بعد أن تقدم في قدرته العقلية ، وبلغ في حضارته إلى المدى البعيد . غير أن هذه الفطرة بدأت ساذجة كأي شيء إنساني في ذلك العهد البدائي القديم ، ولقد كانت الوثنية مظهراً من مظاهر هذه الفطرة ، ولكنه مظهر منحرف شاذ لجأ الإنسان إليه حينما عميت عليه السبل ، واشتدت به الحيرة وعظم به الشوق للاطلاع على الحقيقة الكونية الكبرى ، وهذا ليس بالأمر العجيب ، فإن من المعروف المشهور أن الإنسان حينما يحب الشيء أو يهيم به ويتطلع إليه يظل في وهلات عجيبة من الأوهام والتخرصات ، ويخيل إليه أن أشياء كثيرة تشير إلى حبيبه ، أو ترمز إليه أو تتحدث عنه ، وهكذا فالوثنية كانت شيئاً من هذا القبيل ، فكان لابد للشبهة الإلهية الحكيمة أن تنقذ العقلية الإنسانية الواهية من هذا التخطئ ، فابتعث الله أنبياءه يقدمون للإنسانية رسالة التوحيد ، ويقومون الفطرة النزاعة إلى العالم الروحي ويضعون لها المنهاج الصحيح ، ويخرجونها من الظلمات إلى النور حتى يبلغوا بها إلى درجة الكمال .

إن هذه الفطرة المتأصلة في الإنسان قوة من القوى الإنسانية العظيمة الكامنة والتي لابد أن تظهر في أي شكل من الأشكال ؛ لأنها حقيقة أزلية تعيش ما عاش الإنسان ، وهي كسائر القوى الإنسانية إذا انحرفت عن وجهتها الصحيحة انقلبت إلى عكس الحكمة من وجودها وتقديرها فأساءت إلى الجنس البشري ، وانحطت بمستواه ، وعطلت كثيراً من مواهبه وحالت بينه وبين السير في طريق التطور المنشود وإذاً : لابد للإنسان من الإيمان بالحقيقة الكونية الكبرى ، ولا بد أن يكون هذا الإيمان من القوة والوضوح والحرارة بحيث يكون هو المسيطر على الحياة ، الباعث للمواهب الموجه لكل خطرة من خطرات الإنسان ، الكامن فيها كمن الروح وراء حركات الجسم الحى ، فإذا حاز الإنسان هذا النصيب الأوفى من الإيمان فقد بلغ درجة الكمال ، لأنه يضمن الاستقرار في عقيدته وسلوكه ويضمن لنفسه السعادة والطمانينة ولجتمعه الانسجام والأمن والسلام ، غير أن هذا الإيمان الكامل لم يتوفر على حقيقته لشعب من شعوب الأرض إلا في فترة قليلة من التاريخ الإنساني ، وهي فترة تاريخ العصر الإسلامى الأول . وهذه الفترة وإن كانت قصيرة بالنسبة إلى عمر الإنسان الطويل فحسبها

أنها اكتشفت نماذج رائعة لمجتمع إنسانى مثالى ليس فى منطق العقل ، ولا منطق الحضارة الحديثة ما يمنع من قيامه فى الوجود مرة أخرى ، بل إن المنطق كله يحتم قيامه ، ويجعله أمراً لا محيص منه ، وفيما سوى هذه الفترة فإن الإنسان كان وما يزال ممسوخ الفطرة ، منحرف الوجدان ، مسخرة قواه العقلية للأغراض الأنيمة .

لقد توزع استعداداته الذى كان مركزاً فى الإيمان بإله واحد ، والخضوع لإله واحد ، فوقع تحت طائلة الإيمان الخرافى بما لا يعد ولا يحصى من الآلهة والأرباب ، وأصبح مستعبدا لكثير من الضرورات ، ذليلاً إزاء كثير من المخلوقات ، وبذلك تمزقت قوته الروحية وشذت وشوهت أيما تشويه ، وفقد السعادة الحقيقية والطمأنينة ، واتجه إلى الشر والعدوان والتناحر .

ذلك لأن القوى المتألهة فى المجتمع الإنسانى سواء كانت قوى الأشخاص أو العقائد أو المبادئ أو الأغراض والأهواء هذه القوى استغلت فطرة الإنسان واستعداداته للخضوع والعبودية ، ووضعت نفسها فى المكان الذى ما كان ينبغى أن تكون فيه إلا إرادة الله ؛ فاستعبدت الإنسان وأذلته وانحطت بمستواه .

ولما كانت هذه القوى المتألهة متعددة كان لابد أن تختلف وأن تتناقض ، وأن تسيطر كل قوة منها على مجموعة من البشر تسخرهم لوجهتها ، وتستعبد ضماؤهم فترى هذه المجموعات البشرية تستमित من أجل المبادئ المتألهة المصنوعة ، وتلاقى فى سبيلها مالا يمكن تصوره من الأهوال والآلام ، والمتاعب الجسام دون أن تتراجع أو تتردد .

وإنما أدى التعدد لهذه القوى المتألهة إلى النزاع والنضاد لأن كل قوة تعتد بنفسها وتتأله ، ولا تطيق التراجع بأية حال من الأحوال ، ولأجل ذلك ارتكس العالم فى هذه الحروب الطاحنة ، وصدق الله العظيم : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فلا علاج للإنسانية إلا إذا خضعت مجموعاتها قاطبة للحقيقة الإلهية الكبرى ، وجعلت شريعتها هى المثل الأعلى ، ورفعت قيمة الفرد الإنسانى ، ونزهته من الخضوع لأية قوة غير قوة الله ، وأية شريعة غير شريعته ، وهذا هو جوهر الرسالة الإسلامية وروحها ولبابها ، وفى الإشارة إلى ذلك يقول إقبال :

سجدة للاله تنجيك يا إلهان من ألف سجدة للعبيد !

ومن هذا كله نعرف أن النزعة إلى عالم الغيب فطرة إنسانية أصيلة طبع الله الإنسان عليها لتربط عالم المادة المنظورة بعالم الروح المحجوب ، وأن الإنسان أخطأ فى تفسير هذه النزعة ، واصططح الآلهة الزائفة فى الرمز إليها ، وكان من مقاصد الشرائع السماوية تقويم هذه النزعة ، وتنظيم الصلة بين عالم المادة وعالم الروح على أساس الإيمان بإله واحد ، « لا إله إلا هو تعالى عما يشركون » !

مجتمع عالمي

للأستاذ سيد قطب

(٣)

والإسلام تبعاً أفكرته هذه عن الديانات المختلفة ، وتمشياً مع نزعتة العالمية ، لا يبت الصلة بينه وبين من لا يؤمنون به ماداموا لا يحاربونه ، ولا يمنعون دعوته أن تبلغ الناس ، ولا يفسدون في الأرض ، ولا يعتدون على الضعفاء ؛ بل يفسح للداخلين في سلطانه مجال الحياة كاملاً ، ويفسح لمن لا سلطان له عليهم مجال التعاون العالمي في الخير والصالح . ويحسن أن نقول كلمة عن نوع العلاقات بين المجتمع الإسلامي وبين كلا الفريقين ممن لا يدينون بدين الإسلام .

فأما الداخلون في سلطانه فهم الدميون — أي الذين أعطاهم الإسلام ذمته أن يحميهم ويدفع عنهم كل اعتداء خارجي ، وأن يكفل لهم في الداخل حرمة أرواحهم وأموالهم وعقائدهم ، ويحرس لهم معابدهم ، ويسمح لهم بمزاولة نشاطهم الاجتماعي والاقتصادي في الحدود التي لا تفسد نظام المجتمع ، ولا تعارض أسسه الأخلاقية المقررة — كل أولئك في مقابل ضريبة الجزية للحكومة الإسلامية .

ولا بد من كلمة عن « الجزية » . فإن هناك لغطاً كثيراً حولها ، ينشئه الجهل بحقيقتها ، أو الغرض في طعن الإسلام عن طريقها .

لقد فرض الإسلام الزكاة على كل مسلم يملك ما يقابل من عملتنا الحاضرة نحو اثني عشر جنباً فما فوقها ، كما فرض الجهاد — أي ضريبة الدم — على كل قادر ، لحماية الفكرة الإسلامية ودفع الظلم والجور عن الناس جميعاً ومنهم الدميون ، ولما كانت الزكاة والجهاد عبادتين إسلاميتين ، فضلاً على أنهما ضربيتان في النفس والمال لم يشأ الإسلام أن يكلف بهما أهل الدمة ، لأنهم لا يدينون بالعقيدة الإسلامية التي تفرض هاتين العبادتين . وبدلاً من ضريبة المال وضريبة الدم فرض على الدميين الجزية ؛ وهي فريضة مالية بحته لا ظل فيها للعبادة .

كذلك يجب أن يلاحظ أن الزكاة مفروضة على المسلمين رجالاً ونساءً ، كما أنها

مفروضة في مال الصبي يخرجها وليه عنه . أما الجزية فمفروضة على الرجال وخدم دون النساء والأطفال . وهي ثابتة في الغالب في ثلاث فئات بينما الزكاة تتبع درجة الثراء إلى غير حد . وقد كانت الجزية تؤخذ ثمانية وأربعين درهما في العام من الموسر ، وأربعة وعشرين درهما على الوسط ، واثنى عشر درهما على الصانع ومن في حكمه . ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا من مقعد ، وكذلك المترهبون في الأديرة ما لم تكن لهم أموال خاصة ، وكذلك أهل الصوامع (١) .

والذي لا ينتفع في مقابل أداء الجزية بمجرد الحماية الخارجية والداخلية ، بل ينتفع كذلك بالكفالة الاجتماعية التي يفرضها الإسلام لغير القادرين على الكسب ، سواء كانوا أطفالاً أم مرضى أم عجزة أم شيوخاً . والإسلام يفرض لهؤلاء جميعاً ما يكفيهم ، دون نظر إلى جنسهم أو لونهم ، ودون نظر إلى ديانتهم كذلك . والسوابق الإسلامية تؤكد هذا المبدأ الإنساني العظيم :

(رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، شيخاً ضريباً يسأل على باب ، فسأل ، فعلم أنه يهودى ، فقال له : ما ألبأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى داره ، فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال : انظر هذا وضرباه ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » (٢) وهذا من مساكين أهل الكتاب (٣) .

ولما سافر إلى دمشق مر بأرض قوم مجذمين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت (٤) .

وهكذا ترتفع روح الإسلام بعمر إلى هذا الأفق الإنساني منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، فيجعل الكفالة الاجتماعية حقاً إنسانياً لا يتعلق بدين ولا ملة ، ولا تعوقه عقيدة ولا شرعة .

كذلك تثبت السوابق التاريخية أن المسلمين ردوا الجزية إلى بعض من حصلوها منهم ، لأنهم عجزوا عن حمايتهم ، وقد رد أبو عبيدة بن الجراح — رضى الله عنه — إلى أهل الشام جزيتهم حينما بلغه أن الروم قد جمعوا له ، فكتب إلى أمراء المدن التي

(١) عن كتاب الحراج لأبى يوسف . (٢) التوبة - ٦٠ .

(٣) عن كتاب الحراج لأبى يوسف . (٤) عن كتاب الدعوة إلى الإسلام تأليف

سهرت . و . أرنولد .

ثم الصلح معها أن يردوا على أهلها ما جى منهم وأن يقولوا لهم : إنما رددنا عليكم أموالكم ، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع ، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإننا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا ، إن نصرنا الله عليهم ^(١) .

بقى نص قرآنى يرتكن عليه الطاعنون فى الإسلام ، كأنما عثروا على حجة لاتدفع ، وطعنة لا ترد !

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يُحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الدين أوتوا الكتاب حق يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » ^(٢) .

وفى النص ذاته حجته . ذلك أنه حدد « الذين أوتوا الكتاب » الذين أوجب قتالهم فهم « الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق » فهم على هذا الوصف كفار ، ولو أنهم محسوبون من أهل الكتاب باعتبار ما كانوا . فليس هناك أحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ثم يبقى له وصف أنه مسيحى أو يهودى ، أو من أهل دين سماوى على الإطلاق فالأمر بقتال هذا الصنف من الناس هو أمر بقتال كفار فى الحقيقة وإن كانوا من أهل الكتاب فى الظاهر . وعلى ذلك يرد حكمهم إلى حكم الكفار ، فيقاتلون عندما يعتدون ، حسب الدستور الإسلامى فى المحاربة والمهادنة — وسيجى ذكره بعد قليل — ومع هذا يتسامح الإسلام معهم فيعتبرهم أهل كتاب حسب ظاهر الأمر ، فيقبل منهم — فى حالة اعتدائهم ودفع المسلمين لهم واتصارهم عليهم — أن يؤدوا الجزية فى حين لا يقبلها من الكفار فى مثل هذه الحالة . والقصد من فرض الجزية واضح فى الآية كذلك ، وهو إعلان التسليم والمسالمة ، وترك الاعتداء ، والتمكين لحرية الدعوة ، جزاء وفاقاً على الاعتداء ومصادرة الدعوة ، ومطاردة المؤمنين بها ، والظلم فى الأرض والفساد .

وكذلك نرى أن ضريبة الجزية ليست فى الصورة الظالمة الغاشمة المعتمدة التى يحاول بعض المغرضين والطاعنين فى عدالة الإسلام أن يصوروها . ولا نحب أن نعقد موازنة بينها وبين الغرامات الحرية التى يفرضها المنتصرون فى القرن العشرين ، لأننا نرى دائماً أنه لا يجوز عقد مثل هذه الموازنات ، لأن نظم العالم الغربى وسلوكه ليست حجة ، ووقوع ما يقع فى القرن العشرين لا يصلح مبرراً لتصرفات الإسلام . فهذا العالم هابط حين يقاس إلى آفاق الإسلام الرفيعة والذين يحاولون تبرير بعض التصرفات الإسلامية

(١) عن كتاب الحراج لأبى يوسف .

من كتابنا المعاصرين بأن نظائر هذه التصرفات تقع في القرن العشرين ، إنما يقرون بالهزيمة الشيعية أمام النظم الغربية فيحسبون أنهم يقدمون للإسلام حجة أو سنداً ، والإسلام غنى عن مثل هذه المعاذير .

وكما أن الإسلام يلاحظ في فرض الجزية ألا يجبر الذميين على عبادة من عبادات المسلمين كالزكاة والجهاد ، كذلك هو يلاحظ هذا في نشاط الذميين الاقتصادي داخل المجتمع الإسلامي ، فيبيح لهم من الأموال والمعاملات ما يحرمه على المسلمين في بعض الأحيان . من ذلك أنه يحرم على المسلم الحر والخنزير أكلًا وامتلاكًا وتجارة ؛ ومن ثم فهو لا يعدها مالا بالقياس إلى المسلم ، فلو سرقت أو نهبت لم يعاقب سارقها أو ناهبها ، ولو عدت تحت يد الضامن لها ضاعت هدرًا ولم يغرم . . . هذا إذا كانت لمسلم . فأما إذا كانت لذمي فسارقها أو ناهبها يعاقب ، وضامنها يغرم ، لأنها مباحة عند الذمي ، فالإسلام يحفظها عليه ، ولا يتدخل في عقيدته .

والإسلام لا يكفل لأهل الذمة دماءهم فقط كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة »^(١) ، ولا أموالهم وحررياتهم فقط « من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجُه »^(٢) ، ثم يدعهم في عزلة اجتماعية ، مكتفياً بحماية أرواحهم وأموالهم وحررياتهم . . . كلا ! إنما هو يفسح لهم في رحابه وبين أهله أن يعيشوا مواطنين محترمين ، تربط بينهم وبين المسلمين صلات المودة ، والتبادل الاجتماعي ، والمجاملات العامة ، فلا يعزلهم في أحياء خاصة ، ولا يكلفهم أعمالاً خاصة ، ولا يمنعهم الاختلاط بالمسلمين — على نحو ما يمنع البيض والسود في أمريكا ، والمولدين في جنوب أفريقيا !

إن الذميين في الإسلام يودون ويوادون ، ويعيشون في جو اجتماعي طلق ، يدعون إلى ولائم المسلمين ، ويدعون المسلمين إلى ولائهم ، ويتم بينهم ذلك التواد الاجتماعي اللطيف :

« اليومَ أحلُّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم »^(٣) . ويحسن كذلك أن أسوق الحادثة التالية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهي ذات دلالة خاصة على المشاعر التي تجيش في نفس المسلم الأول تجاه الذميين :

عن جابر بن عبد الله قال : « مرت بنا جنازة فقام النبي وقمنا . فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي . فقال : أو ليست نفساً ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري .

(٢) ذكره أبو يوسف في الخراج .

(٣) المائدة — . . .

(٤) أخرجه البخاري .

إنه الشعور المبرأ من كل عصبية ، حتى عصبية الدين ، وإنه الأفق الإسلامى السامق الذى يعي المتطلعين ، وأحب قبل أن أختم الحديث فى هذه النقطة أن أثبت فقرات من كلام رجل مسيحى أوربى عن دعوة الإسلام فى هذا المجال : جاء فى كتاب « الدعوة إلى الإسلام » تأليف سيرت . و . أرنولد وترجمة إبراهيم حسن وزميله ص ٥٤ :

« لما ضربت دمشق المثل فى عقد صلح مع العرب سنة ٦٣٧ م ، وأمنت بذلك السلب والنهب ، كما ضمنت شروطاً أخرى ملائمة . . . لم تتوان سائر مدن الشام أن تنسج على منوالها ، فأبرمت حمص ومنبج وبعض المدن الأخرى معاهدات قد أصبحت بمقتضاها تابعة للعرب ، بل سلم بطريق بيت المقدس هذه المدينة بشروط مماثلة . وإن خوف الروم من أن يكرههم الامبراطور الخارج على الدين على اتباع مذهبه ، قد جعل الوعد الذى قطعه المسلمون على أنفسهم بمنحهم الحرية الدينية أحب إلى نفوسهم من ارتباطهم بالدولة الرومانية وبأية حكومة مسيحية ؛ ولم تسكد المخاوف الأولى التى أثارها نزول جيش فاتح فى بلادهم تتبدد حتى أعقبها خمس قوى لمصلحة العرب الفاتحين .

« أما ولايات الدولة البيزنطية التى سرعان ما استولى عليها المسلمون بيسالتهم ، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة ، بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية النسطورية ؛ فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد . اللهم إلا إذا استثنينا بعض القيود التى فرضت عليهم منعاً لإثارة أى احتكاك بين أتباع الديانات المتنافسة ، أو إثارة أى تعصب يندشأ عن إظهار الطقوس الدينية فى مظهر المفاخرة حتى لا يؤذى ذلك الشعور الإسلامى . ويمكن الحكم على مدى هذا التسامح الذى يلفت النظر فى تاريخ القرن السابع من هذه العهود التى أعطاها العرب لأهل المدن التى استولوا عليها وتمهدوا فيها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم ، وإطلاق الحرية الدينية لهم ، فى مقابل الإذعان ودفع الجزية » .

ثم يقول فى ص ٥٨ :

« ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين — كما يريدنا بعض الباحثين على الظن — لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام ، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الدمة ، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة فى الجيش ، فى مقابل الحماية التى كفلتها لهم سيوف المسلمين . ولما قدم أهل الحيرة المال المتفق عليه ، ذكروا صراحة أنهم دفعوا هذه

الجزية على شريطة : « أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم ، وكذلك حدث أن سجل خالد في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قوله : « فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا » .

ثم ذكر حادثة أبي عبيدة التي أثبتناها ، ومضى فقال :

« وقد فرضت الجزية كما ذكرنا على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التي كانوا يطالبون بأدائها لو كانوا مسلمين .

« ومن الواضح أن أية جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي . وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة ، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية ، سالت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم ، وأن تقاتل معهم في مغازيهم على شريطة ألا تؤخذ بالجزية ، وأن تعطى نصيبها من الغنائم ، ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس في سنة ٢٢ هـ ، أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد ، وأعفيت من أداء الجزية في مقابل الخدمة العسكرية » .

وقد مضى هذا الرجل المسيحي في ضرب الأمثلة من هذا النوع في العصور المتأخرة ، إلى أن قال ص ٥٩ :

« ومن جهة أخرى أعفى الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية ، على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام ، وفرضت عليهم الجزية ^(١) في نظير ذلك كما فرضت على المسيحيين » .

مما يثبت بصفة قاطعة صفة الجزية على النحو الذي قررناه من قبل ، ويبطل كافة الترهات الباطلة التي يثيرها المفرضون حول هذه المسألة بصفة خاصة ، وحول علاقات الإسلام بمخالفيه في العقيدة ممن يعيشون في كنفه وتظللم رايته وعدالته .

فأما الدين لم يدخلوا في سلطان الإسلام من أهل الديانات الأخرى ، بل حق بمن ليس لهم دين ، فالإسلام لا يعاديهم ولا يقطعهم ولا يحاربهم ، إلا أن يبدؤواهم بالعدوان على المسلمين أو غير المسلمين . ونظامه يسمح بالتعاون الإيجابي معهم عن طريق المعاهدات التي يحترمها الإسلام كل الاحترام .

ولقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهدات كثيرة ، كان الكفار أنفسهم طرفاً

(١) البذل العسكري .

فيها في بعض الأحيان ، وحافظ عليها كل المحافظة ، ولم يسمح بنقضها إلا بعد أن نقضها الطرف الآخر ، والنصوص القرآنية حاسمة في المحافظة على المواثيق وهذه مسألة هامة تستحق أن تقف عندها وقفة قصيرة :

إن الدستور الإسلامي في العلاقات الدولية يلخصه النص التالي :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤوا منهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحبّ المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (١) .

وعلى هذا الدستور يتعامل مع الناس أجمعين . وهو يؤثر المودة على العداوة حق مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء ، استحياء للمودة الإنسانية ، وتوثيقاً للروابط البشرية ، فقبل هذا النص يرد نص آخر هو :

« عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم » (٢) .

أما الوفاء بالعهد فالنصوص فيه كثيرة نختار بالقليل منها :

« وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالكاذبة غزلهامن بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة » (٣) .

فهنا يحتم الإسلام الوفاء بالعهد ، وعدم نقضه ، ويحذر من الخديعة والدخل في المواثيق ، بغية أن تكون أمة هي أربى من أمة . فهذا العذر الذي يعتذر به الساسة الكذبة الخداعون ، وهو مصلحة « الدولة » لا يعترف به الإسلام ، ولا يراه مبرراً للخديعة والدخل في العهود ، ولا في نقض المعاهدات والمواثيق ؛ وحق حين يستنصر المسلمون إخوانهم المسلمين ليجاهدوا معهم في الدين فإن هذا لا يبيح لإخوانهم نقض العهد الذي سبق له الأداء ، مادامت شروطه مصونة من الأعداء : « وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » وهي قمة في الوفاء بالعهد تقصر دونها الكلمات .

(١) المتحنة - ٩٠٨ .

(٢) المتحنة - ٧ .

(٣) النحل - ٩١ ، ٩٢ .

ولم تكن هذه مُثلاً نظرية ، ولا مبادئ مثالية ، إنما كانت سلوكاً واقعياً في حياة المسلمين ، وفي صلاتهم الدولية . والأمثلة على ذلك كثيرة من الواقع التاريخي في الإسلام ، نجتزئ منها ببعضها في هذا المقام :

قال حذيفة بن اليمان : ما منعتني أن أشهد بدرًا ، إلا أنني خرجت أنا وأبو الحسيل ، فأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمداً . فقلنا ما نريده وما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق إلى المدينة ولا نقاتل معه . فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر ، فقال : « انصرفا : نفي بعهودهم ونستعين الله عليهم » .

وقال أبو رافع مولى رسول الله : بعثتني قريش إلى النبي ، فلما رأيت النبي وقع في قلبي الإسلام فقلت : يا رسول الله لا أرجع إليهم . قال : « إني لا أخيس بالعهد ، ولا أحبس البرد ، ولكن ارجع إليهم ، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع » .

« وحينما كان سهيل بن عمرو يفاوض النبي — صلى الله عليه وسلم — في صلح الحديبية — وبينما كان يكتب عهد الهدنة وقبيل توقيعه — جاءه أبو جندل بن سهيل يرسف في الأغلال ، وقد فرمن الكفار . فلما رأى سهيل ابنه قام وأخذ بتلايبه وقال : يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك (يعني انتهى الجدل فيها ووضحت) فقال محمد : صدقت . فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ فلم يغن عنه ذلك شيئاً ، وردّه رسول الله وفقاً للشروط التي اتفق عليها ، وإن كان بعد لم يوقعها » .

الله وحده

كتب معاوية إلى عائشة لتوصيه وترشده فأرسلت إليه تقول : سلام عليك ، أما بعد فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » .

القيادة الخالدة

أشرق وجه النبوة على الأرض : يحمل في تقاسيمه معالم تاريخ جديد ، ويجمع في ميلاده ميلاد أمة بأسرها ، نبعت من قلبه ، ودرجت بين يديه ، ودفعها يده المباركة في التاريخ دفعة البطل القاهر . . . دفعة فيها جلال الروح وبأس العقيدة وروعة المثل الأعلى . . . أمة بدأت بمحمد وحده في فيافي الجزيرة : يسفها آلهتها ، ويندد بنحرفاتها ويدعوها إلى الله ، وهى اليوم بين يدي ذكراه : مثات من الملايين تملأ شرق الدنيا وغربها ، تهتف باسمه مع اسم الله ، وتزهد في رسالته نوراً يبدد حلكة هذا الزمان . إن كلمة « النبي » أو « النبوة » التى ألف الناس ترددها كلمة عزيزة لو عقل الناس معناها . . . وهى وحدها الكلمة التى ترد إلى حياتهم ميزانها الصحيح . . . وأمنها وهناءتها النبوة معناها : أن إنسانا تتناوله يد الله بالرعاية والتوجيه ، فتجلى جوهره ، وتمنع عنه كل شائبة ، ثم تسكب فيه أنوار الحقيقة العليا لتأخذ منه توبها البشرى : تنظر بعينه ، وتتكلم بلسانه ، وتبسط بيده ، وتروح به وتغدو فى لحم ودم . والنبي ، (والله المثل الأعلى ورسوله) ، جهاز استقبال يتلقى موجات الملائكة الأعلى بما فيه من سر صادق « وإنك لتأتى القرآن من لدن حكيم عليم » ، يرسله للناس بعد ذلك سهلاً بيناً على قدر ما يعقلون ويطبقون « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم » فالنبي فى استقباله للوحى سماوى المعدن ، وفى إرساله للناس بشرى الأداة ، وهو بين هذين عالم وحده ؛ فيبينا تراه عالياً عالياً عالياً عند سدره المنتهى : حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى تجده فى ذات الوقت - وهذا هو موضع الإعجاز فى قيادة الأنبياء - قريباً قريباً قريباً ، يعيش بين أصحابه كأنه واحد منهم ، ويتفاعل مع الحياة فى كل نواحيها : إذا جالس أقبل على جلسه بكل وجهه ، وإذا صافح لا يكون أول من يقبض يده ، وإذا تعامل كان أدق الناس معاملة ، وإذا قضى كان أعدل الناس قضاء ، وإذا قاتل لم يقم له أحد . . . وهو من حيث نظرت إليه معتدل الأمر غير مختلف . كذلك كان صلى الله عليه وسلم ، وكذلك هو فى سيرته المشرقة المحفوظة فى مكتبات المسلمين ، حفظها الله لكل مسلم يريد أن يعرف نبيه ، ويتلمذ عليه ، ويأخذ مكانه فى ركب الحق ، وقافلة الوحى . . . إلى حيث يحب الله ويرضى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »

من فقه القرآن والسنة

شروط البيع

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٤)

قد يتحقق في البيع الشروط التي سبق لنا أن تكلمنا عنها ؛ فقد يكون المبيع مملوكاً للبايع ، ويكون موجوداً تحت يده ، وليس في العقد رباً على أى لون من ألوانه . ومع ذلك كله ، فقد يكون العقد غير صحيح من نواح واعتبارات أخرى من الشريعة نفسها ، وهذا ما يجعلنا نرى مع الفقهاء توفر شروط أخرى في العقد ليكون صحيحاً شرعاً ، ونتكلم في هذه الكلمة عن شرطين آخرين ، وهما : حل موضوع العقد ، وحل الثمن .

حل موضوع العقد :

وهنا ، نبدأ باستعراض بعض الآيات والأحاديث التي وردت في هذا الشأن :

١ - يقول الله تعالى (في سورة المائدة ٥ - ٩) : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعنكم الله فلحجون » .

٢ - ويقول جل ذكره (نفس السورة آية ٣) : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب » .

٣ - وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » ، فقيل يا رسول الله ! رأيت شحوم الميتة ، فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ! فقال : « لا ، هو حرام » ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام عند ذلك : قاتل الله اليهود ، إن الله لما حرم شحومها جعلوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه ^(١) .

(١) يستصبح : يستضيء ، جلوه : أذابوه واستخرجوا دهنه ، والحديث في الجزء الثاني ص ١٧٢ من كتاب الأولئ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ؛ وانظره في صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ : ٤٩ ، وهذا الحديث كان عام الفتح أى فتح مكة الذي كان في رمضان عام ثمان من الهجرة .

٤ — وروى الشيخان أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بلغ عمر أن فلانا (١) باع خمرًا ، فقال : قاتل الله فلانا ، ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها » ١

٥ — وروى البيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر ، فقال له : « هل علمت أن الله قد حرّمها » ؟ قال : لا . فسارَ إنسانًا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بم ساررتك ؟ » فقال : أمرته ببيعها ، فقال : « إن الذى حرم شربها حرم بيعها » ، قال ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها (٢) .

٦ — وروى أبو سعيد الخدرى ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة ، قال : « يا أيها الناس ! إن الله تعالى يعرض بالخر (٣) ، ولعل الله سينزل فيها أمرا ، فمن كان عنده شيء منها فليبعه ولينتفع به » قال : فما لبثنا إلا يسيرا حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية (٤) وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع » . قال : فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها (٥) .

ومن جماع تلك الآيات والأحاديث نأخذ نصاً أن الخمر والميتة ومنها شحومها ، وكذلك الدم وما يصنع منه من مأكولات ، والتحزير — كل ذلك محرم تناوله وبيعه وشراؤه . والسكن ، ما علة هذا التحريم ؟ أهى النجاسة أو عدم وجود منفعة مقصودة من الشارع فى كل ذلك ، كما يقول الشافعية ومن وافقهم ؟ أو هى مجرد نهى الشارع كما يقول آخرون ؟ والسكن لنا أن نتساءل أيضاً — إن ذهبنا إلى هذا الرأى الأخير — عن علة هذا النهى من المشرع .

ثم إذا كانت العلة هى النجاسة ، أو أنه ليس فيها منفعة مباحة يقصدها المشرع ،

(١) وفلان هذا ، هو سمرة بن جندب ، كما جاء فى صحيح مسلم بشرح النووى ج ٤ : ٥٠ .

(٢) مسلم بشرح النووى ، ج ٤ : ٤٨ — ٤٩ . والمزاد جمع مزادة ، وهى إناء من جلد يكون فيها الماء ونحوه كالذى نعرفه بالزمزية .

(٣) أى فى آية ٢١٩ من سورة البقرة : « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فىهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » .

(٤) رقم ٩١ من سورة المائدة : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٤ : ٤٧ — ٤٨ .

هل يجب أن يلحق بالحر كل ما كان كذلك في أنه لا يجوز بيعه ؟ مثل روث البهائم ونحوها ، والحيوانات الضارية التي لا ينتفع بها في الاصطياد مثلا ، والحشرات التي لا منفعة يصح أن تقصدها منها (١) .

على أن من الواجب في رأينا تجوز بيع روث البهائم ونحوها ، فإنه ينتفع به وقوداً وسماداً كما هو معروف ، وهذا ظاهر على رأى من يجعل علة تحريم بيع الحر ونحوها عدم وجود منفعة مقصودة منها ، وعلى رأى من يجعل العلة هي النجاسة ، يكون الحكم بعدم الجواز مقصوراً على ما ليس منه منفعة حقيقية ؛ وبهذا قال بعض العلماء ، أى بعدم تعدية الحكم إلى كل ما هو نجس (٢) .

وبعد هذا وذاك قد فهم بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ، أن التحريم في الحر هو تحريم تناولها ، لأنها تراد أولاً وبالذات له . كما كان من الذى أهدى الرسول راوية خمر ، فلما أخبره بتحريمها أمر غيره ببيعها على ما جاء بالحديث الثالث الذى رويناہ آتفا ، فأفهمه النبي أن الله حين حرم شربها حرم بيعها أيضاً . وهذا التحريم للشرب والبيع معا ، نراه نصاً في الحديث الرابع أيضاً .

وإذا كان هذان الحديثان يصرحان بأن المسلم منهى أيضاً عن إمساك الحر ، لما جاء فيهما من أن الدين كان عندهم شئ منها أراقوه فور علمهم بأن الله حرمها ، فإن لنا أن نتساءل مع ذلك : هل يجوز جعلها خلاً ؟ أى هل تغير صورتها من خمر إلى خل ، يجعل الانتفاع بها حلالاً من هذه الوجهة وإن كانت مادتها هي ؟ لأن المعروف من الفلسفة أن « المادة » تتعاقب عليها « الصور » المختلفة فيكون من ذلك وجود الأشياء وعدمها بحلول صورة محل أخرى .

وحين نحاول الإجابة عن هذا السؤال ، ينبغي أن نلاحظ أن الشارع حين حرم الحر أراد تحريم الانتفاع بها على أى وجه . وجعلها خلا بصنع صاحبها مثلاً ، معناه الانتفاع بها في صورة أخرى فيكون ذلك حراماً شرعاً ، ولو كان هذا الصنيع يجعل الإفادة منها جائزة ، لأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إليه بل لكان قد نصح به ، كما فعل حين توقع أن ينزل قرآن بتحريمها فحث من عنده شئ منها على الإفادة منه قبل أن ينزل القرآن بالتحريم .

(١) راجع النووى ، ج ٤ : ٤٨ ، ٥٠ ؛ فتح البارى ، ج ٤ : ٣٣٧

(٢) سبل السلام ، ج ٣ : ٤ - ٥ . وفيه أن الأدلة على نجاسة الحر غير ناهضة ، وأن نهى الرسول هو علة التحريم . ولكنه لم يذكر سبب النهى ، وهو ما تعرف من أنها مذهب العقل والمال بلا أى نفع حقيقى .

وإلى هذا الرأي ذهب كثير من الفقهاء ، ومنهم الشافعي وابن حنبل ومالك في أصح الروايات التي رويت عنه وعلى حين ذهب آخرون ، ومنهم أبو حنيفة وبقية مصر الليث بن سعد ومالك في رواية أخرى ، إلى جواز الانتفاع بالحل حينئذ ، لأن هذا السائل تغير تماماً وصار شيئاً آخر غير الحمر (١) .

ونحن ، نرى أنه لا بأس بتخلييل الحمر للانتفاع بها باعتبارها خلا ، فقد صارت حقاً شيئاً آخر تماماً لا يشرك الحمر في صفاتها وخصائصها التي حرمت من أجلها . ونستطيع أن نستدل لذلك ، بطريق القياس ، بإباحة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه الانتفاع بجلد الشاة الميتة بعد دباغته الذي يظهر به ، مع أن الدباغ — وإن أذهب نجاسته — لم يجعله شيئاً آخر غير أنه جلد الميتة المحرم الانتفاع بها بنص الكتاب والسنة ، على حين أن الحمر متى انقلبت خلا ، تصبح شيئاً آخر تماماً كما قلنا ، وإذا فلا يكون إثم بالانتفاع بالحل في هذه الحالة كما لو صارت خلا بنفسها بلا صنع أحد .

وهنا ، علينا أن ننظر نظرة خاصة إلى الحديث الأول الذي ذكرناه فيما سبق ، وهو الحديث الذي ورد فيه سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شحوم الميتة التي ينتفع بها في طلاء السفن ودهن الجلود والاستضاءة ونحو ذلك ، فقال الرسول : لا ، هو حرام ، ثم نعى على اليهود أن الله لما حرم عليهم شحم الميتة أذابوه وجعلوه دهنًا ثم باعوه وأكلوا ثمنه .

إن مما يستوقف النظر بخاصة في هذا الحديث ، أن إذابة الشحم ليسكون دهنًا ينتفع به في وجوه مختلفة لم يغير من خصائص الشحم ، بخلاف صيرورة الحمر خلا كما عرفنا ثم ما مرجع الضمير في قول الرسول : هو حرام ؛ هل يرجع إلى الانتفاع بوجه من الوجوه التي ذكرها السائل ونحوها ؟ أم يرجع إلى البيع وحده ، فيبقى الانتفاع بغير البيع حلالاً ؟

يرى الإمام الشافعي وأصحابه ، وبعض الفقهاء الآخرين مثل محمد بن جرير الطبري ، أن الضمير يعود إلى البيع ، مستدلين بأن البيع هو ما لام الرسول اليهود من أجله في نفس الحديث ، وعلى هذا يجوز الانتفاع بشحم الميتة بغير البيع ، أي في دهن الجلود والاستضاءة مثلاً وغير ذلك مما لا يكون أكلاً أو يدخل في بدن آدمي بأي وجه آخر . ولكن جمهور الفقهاء يرون أن هذا الضمير يعود إلى الانتفاع بأي وجه كان ، ومنه البيع بلا ريب ؛ وإذا ، فلا يصح في رأيهم شرعاً الانتفاع بشيء من الميتة لعموم

النهي ، ماعدا ماخصه دليل آخر وهو الجلد المدبوغ كما ذكرنا . (١)

على أننا نكاد لا نفهم كيف يبيح الشافعية ومن معهم الانتفاع بشحم الميتة بغير البيع ، ومحرمون الانتفاع بالخمر إذا جعلت خلا ، بينما شحم الميتة لم يفقد شيئاً من خصائصه بجعله دهناً ، على حين أن الخمر إذا جعلت خلا فقدت خصائصها كلها وصارت شيئاً آخر !

إن النظر المنطقي الفلسفي ، الذي يرى استحالة المادة من صورة لأخرى نجعلها شيئاً آخر له طبيعته وخصائصه التي تميزه عن غيره ، يقضي أن يبيح الشافعية الانتفاع بالحل الذي كان خمرأ ، ما داموا أباحوا الانتفاع بدهن الميتة الذي كان شحماً محرماً ، اللهم إلا إن كان الفرق عندهم أن الدهن ينتفع به في غير الأكل فلا يدخل بدن الإنسان ، على حين أن الانتفاع بالحل قد يكون بتناوله في الطعام ؟ (٢) .

حل الثمن :

نكتفي هنا بالإشارة إلى آية سورة النساء : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » فإن قوله تعالى « بالباطل » ، يفيد وجوب أن يكون الثمن أيضاً عوضاً صحيحاً ومالاً مقبوماً عند المسلمين ، وليس كذلك الخمر والخنزير مثلاً ، فيكون جعل أحدهما ثمناً لا قيمة له ، ويكون المشتري قد تملك المبيع بغير مال أي بالباطل ، وذلك غير جائز شرعاً .

« البحث موصول »

(١) وراجع النووي ، ج ٤ : ٤٩ - ٥٠ ، فتح الباري ج ٤ : ٣٣٦ - ٣٣٧ ؛ سبل السلام ، ج ٣ : ٥ - ٦ .

(٢) وراجع في جواز أو عدم جواز بيع ما تنجس من الزيت والسمن والعسل وغيرها ، والانتفاع بها ، النووي ، ج ٤ : ٥٠ ، سبل السلام ، ج ٣ : ٦ وحده في جواز ذلك في شعر الميتة وصوفها ووبرها .

الوطن لله

ألقى إلى البريد رسالة كريمة من قطر عربي عزيز ، تناول فيها مرسلها حديث الاثنين قبل الماضي بتعليق جميل ثم قال « ورغم أنني تأثرت أعماق التأثر بهذه المعاني إلا أنني أحب أن أكون صريحاً فأتساءل : هل معنى ذلك أنكم تنكرون الوطنية وأثرها ، مع أنها شيء طبيعي أحدث حركات ضخمة في التاريخ ؟ وهل تظنون أن هناك أملا في عودة نفوذ الدين بعد أن بعدنا عنه هذا البعد في كل مكان ؟ » ثم طلب أن يذاع الردّ تعميماً لفائدته .

الحق أنني في حديثي السابق لم أتعرض للوطنية من هذه الناحية التي ذهب إليها المرسل الكريم ، ولكنني تناولتها من حيث صلتها بالدين ، وكنت إذ ذاك بصدد إثبات أن الوحدة الوطنية لا يصح أن تكون على حساب الدين ، ولا يمكن بذلك أن تتم لأن الدين أبعد أثراً في قلوب الناس . والحق كذلك أنني لم أنكر الوطنية . . . وكيف أنكرها ؟ إن حب الوطن عاطفة لا يفقدها إلا فاقد حس تبلدت مشاعره ، وشعور طبيعي لا ينكره أحد ولا ينكر على أحد وأيضاً لا تتحرك نفسه حين يسمع حذاء الحادي :

زفرائي طوفى سماء بلادى وانتهى من شعاعها الريان
أطفئ لوعق بها واغمسى روحي فيها وبردى الحاني
وطنى أنت نفحة الله ما تسبح لا عن قلبي ولا عن لساني
أينا لا يخفق لذلك قلبه ؟

لا يا صاحبي ما إلى ذلك قصدت ، وإنما الذي عنيت به : هو أن هذا الشعور الصادق عاطفة من عواطف النفس الكثيرة يجب أن يأخذ مداه ثم لا يتعداه . أن يحب الناس أوطانهم ويتربوا بها : أمر سائع جميل ، أما أن يجعلوا هذه العاطفة المحدودة بمحدودها في كل قطر عاطفة الحياة ومركز الشعور ، وتستحيل هذه الأوطان الموزعة في أرض الله أوثاناً يدور الناس حولها ، ويفسرون التاريخ لحسابها ، ويشيرون معارك الحياة ابتغاء مرضاتها ، فهذا هو السم الزعاف الخطر ، وأخطر ما فيه : أنه يمس في الناس شعوراً صادقاً يأخذهم به من حيث لا يشعرون ، ويدفعهم في طريق متصل الحلقات : اسمه : طريق الوطن ، وشعاره : حب الوطن ، ومهمته : خدمة الوطن ، وهتافه : عاش

الوطن ، ومصير هذا الذي لا مفر منه : أنانية وطنية تستحكم في أبناء كل وطن ، أنانية تصبح هي المثل الأعلى ، وميزان المنافع والمضار . . . أنانية تجعل الحدود المرسومة على خرائط الجغرافيا السياسية حدوداً في أنفس الناس ، حدوداً تقوض العاطفة الإنسانية ، حدوداً ما أنزل الله بها من سلطان : حدوداً صنعتها في التاريخ سيوف الفاتحين ولست أدري كيف تسيغ عقول الناس أن تتحكم السيوف في عواطفهم ، وأن تتسع قلوبهم وتضيق بقدر ما اتسعت مناطق الغزو وضائق ، ثم يقفوا بعد ذلك من وراء هذه الحدود يخضعون منطق الحياة لحسابها وينظرون إلى الدنيا من خلالها ويصرفون الجهد كل الجهد لتمجيدها ؛ أما المثل العليا . . . أما الدين . . . أما الإسلام . . . فنأخذ منه ما يصلح لنا ، أى ما تحده حدودنا ، أى ما لا يصرفنا عن تقديس وطننا وتمجيد بلادنا إلى أى شيء آخر ، ولو كان المثل العليا ، ولو كان الدين ، ولو كان الإسلام ، ولو كان رسالة الله في الأرض ، وإرث محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا يعرف الحدود .

ذلك هو الذي أنكرته يأساده ولا زلت أنكره .

إن الإسلام جاء ليستأصل هذه الفلسفة التي تمزق شمل الناس ، وتجعل عواطفهم رهناً بالأرض وحدودها — جاء ليجمع رسالة المثل العليا التي نزل بها جبريل ووطن الناس الأول الذي تدور حوله عواطفهم وتتجه إليه قلوبهم ، وتلتقي عنده جهودهم وقواهم .

نزل القرآن من السماء ليقول للناس في صوت عال : إن وطنكم هنا !

وقف محمد صلى الله عليه وسلم ينشد لأتباعه قبلة ، فلم تدُر في الأرض عيناه « قد نرى تقلب وجهك في السماء » .

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليقول للتاريخ في برهان رائع ودرس خالد « إن ديني أحب إليّ من مكة ، إن ديني أحب إليّ من أهلي وعشيرتي إن ديني هو وطني الأول الذي أسكن إليه » .

اجتمعت العصبية الأولى من تلامذة الوحي : فمن كانوا ؟ هل كانوا أبناء أسرة واحدة أو عشيرة واحدة ؟ هل كانوا أبناء قبيلة واحدة أو وطن واحد؟ — بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وأبو بكر القرشي أليس هؤلاء أتباع الإسلام الأول ؟ أى نسب يربط هؤلاء من معاني الوطنية والوطن ؟ أى رباط بينهم مما تعارف عليه الناس ؟ لا شيء من ذلك كله يأساده .

إن الرباط الذي جاء به الإسلام رباط آخر ، إن الحدود الذي فرضها حدود من

نوع جديد . إن الأمة التي يريد هذا الإسلام أمة يصنعها إيمان واحد ، إيمان يستقر في وجدانها ، ويسرى مسرى الكهرباء في أعصابها ، ويضم شملها على اختلاف ديارها ، إيمان بأن لهذا الكون كله إلهاً واحداً يهيمن عليه ويدبر أمره « والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » « يا عبادى إن أرضى واسعة فأياى فاعبدون » « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »

إيمان بأن هذا الإله القوى القاهر اصطفى من عباده أنبياء ورسلاً وجعل خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم : نزل عليه قرآننا ملزماً « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » .

إيمان بأن هذا التنزيل هو الحق ، ورحمة الله للعالمين ، وأن المؤمنين به أمة واحدة أمة مثل عليا تنسب إلى السماء لا إلى الأرض ، وترتبط بإيمانها أقدس رباط « إنما المؤمنون إخوة » أمة تنشأ وتدرج وتعيش لتفسر في الأرض قول الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

هذه أيها السادة رابطة الإسلام ، وعاطفة المسلم كما يريد الله أن تكون — وإن كان ثم شيء آخر يمكن أن يقال لدعاة الوطنية المجردة فهو أن الوطنية لا تصنع الخلق ، بينما الدين وحده هو الذى يصنع الأخلاق — فإذا احتجوا بأثر الوطنية في حركات التاريخ ، فإننا نتخذ ذلك نفسه حججنا الأولى عليهم ، ونتيجته شاهد لنا لا علينا : نتيجته ما نرى : عالم أصبح كالغابة : ضاع فيه الحق وديست كل الحرمات . أما عن الأمل في أن يستعيد الدين نفوذه بعد أن بعدنا هذا البعد عنه ، فحسبنا أن نؤمن أن هذه فريضة الله علينا ، وأنها الطريق الوحيد لخير الناس ، وعلينا أن نأخذ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دروس الحكمة والصبر والإيمان الراسخ بتأييد الله عز وجل

وأن نذكر ، كلنا ، أن الجندية في معركة الحق والباطل هي ذروة السنام من فرائض الإسلام ، وليكن نشيدنا ، في كل جهاتها : « وإن جندنا لهم الغالبون » .

النظام الرأسمالي الجديد

للاستاذ السيد أبي الأعلى المودودي

نقلها إلى العربية السيد محمد عاصم الحداد

(٦)

الاستراتيجية والسبوعية :

فهذه هي العلل والأسباب التي بها نشأ ما نشأ في النظام المدني والاقتصادي التولد من الانقلاب الصناعي من السيئات والفساد . وإنك إذا تأملت قليلا في استعراضنا لهذه المفسدات في الصفحات السالفة ، تبين لك أنه ما كانت السبب فيها تلك المبادئ الفطرية التي كان الرجال البورجوازيون يعرضونها ويؤيدون بها اقتصادهم الحر ، وإنما كان منشؤها تلك الأخطار وسوء التصرفات التي مزجوها بهذه المبادئ الفطرية الصحيحة .

ولو أن أهل الغرب تنهوا لهذه الأخطار في حينها ونالوا من الهداية الحكيمة ما يندشون به نظاماً للاقتصاد معتدلاً مترزناً في هذا العهد الانقلابي الجديد لعاد الانقلاب الصناعي نعمة عظيمة وبركة كبرى لهم ولسائر بلاد الدنيا ؛ ولكن من دواعي الأسف أنه لم يبرز الدهن الغربي والسيرة الغربية في هذا الدور إلا نفس ذلك الوهن الذي كان قد برز منها في الأزمنة الفارطة . وكذلك لم يتقدم تاريخ الغرب في الأزمنة المقبلة إلا على ذلك الطريق العوج المتوى الذي سار إليه وتردى في مهواته بعد ما ضل الصراط السوي من قبل . فأنت ترى الطبقة البورجوازية الآن على نفس ذلك المقام من الكبرياء والظلم والعدوان الذي كان عليه قبل ذلك ملاك الأراضي ورجال الكنيسة والبيوتات الملكية ، أما مقام طلب الحق ورفع الشكاوى والاستغاثة والاحتجاج الذي كان عليه الرجال البورجوازيون من قبل ، فقد قام عليه الآن العمال الكادحون . فكما كانت الطبقة المترفة في النظام الإقطاعي المنقرض حاولت كم أنفواء الطبقات المعوزة باستغلال طائفة من حقائق الدين والأخلاق وقوانين الطبيعة تأييداً لما كانوا يتمتعون به من الامتيازات غير المشروعة والحقوق الجائرة والقيود الثقيلة التي

وضعوها في أعناق أتباعهم ، كذلك حاولت كل ذلك الطبقات المترفة في النظام الرأسمالي الجديد . وكما كان الرجال البورجوازيون اعتمدوا معظم جهودهم في مقاومة تلك الحقائق الثابتة القطرية التي كان يتكئ عليها ويستند إليها أعداؤهم ملتجئين بنار من الغضب واللجاج والحنق من غير أن يدركوا أخطاء ملاك لأراضى ورجال الكنيسة الحقيقية ويعملوا على تداركها التصحيح المناسب ، كذلك فقد الآن العمال وزعمائهم الايزان والاعتدال في نظرم وفكرهم مدفوعين بدافع من التغيظ والغضب وشنوا حملتهم الشعواء على المبادئ القطرية التي مازال يشيد عليها بناء العمران والاقتصاد الإنسانى منذ أول أمره بدل أن يحملوا حملتهم على مفاصد المدنية البورجوازية ومضارها الحقيقية . وقد يكون رجال الطبقات المتوسطة على جانب من الذكاء والفطنة والتعليم على ما فهم من السيئات والمفاصد ومكامن الضعف والوهن . فاحتفظوا ببعض آرائهم الذهنية واعتدالهم الفكرى حق عند اشتداد سورة الغضب والشكاة . ولكنه لما قام العامة المضطهدون المغلوبون على أمرهم ، وكان يفقدون كل من العلم والذكاء والتجربة ، فلما قاموا قومتهم وهاجوا هيجانهم بعد ما عيل صبرهم وأقضت عليهم مضاجعهم لما ظلوا يعانونه من الآلام والشدائد طيلة قرون عديدة ، أبوا أن يزفوا شيئاً بميزان الاعتدال والعقل والحكمة قبل أن يقبلوه ويقبلوا عليه ويسلموا به تسليماً . وأكثر ما استهوى عقولهم من المبادئ هو ما كان أكثرها شدة في قضاء ما انطوت عليه جوانحهم من عواطف النفرة والغضب والثأر والنعمة .

فهذا ما يسمى بـ (Socialism) ^(١) أى الاشتراكية عامة . وما « الاشتراكية » إلا وليدة من غضب الفقراء وحنق المعوزين كما رأيت . فما كاد يمضى على تولد النظام الرأسمالى أكثر من نصف قرن ، حتى نجم قرن الاشتراكية ، وما كاد يمضى على تولدها أكثر بقليل من نصف قرن ، حتى امتلأت الدنيا بويلاتها وشروورها .

(١) والمعنى اللغوى لـ Socialism هو الجماعية : وقد وضع هذا المصطلح بإزاء تلك الفردية (Individualism) التي قام عليها بناء النظام الرأسمالى . وقد سبق كارل ماركس رجال بدأوا يقدمون كثيراً من النظريات والمبادئ المختلفة بهذا الاسم وكانت الغاية المشتركة بينهم جميعاً أن يؤسسوا نظاماً للحياة يضمن السعادة للمجتمع بوجه شامل عام ، ولكن بقيت نظرياتهم هذه كلها مدونة في الكتب ، وجاء كارل ماركس وأجاب إلى طلب الناس العام هذا بصورة نوع خاص من (socialism) بمصطلح عليه عامة بـ (Scientific Socialism) (الاشتراكية العلمية) أو (Marxism) (الماركسية) أو (Communism) (الشيوعية) . فهذه الشيوعية هي التي نحن هنا بالبحث في هذا المقام ، فلما هي التي أخذت مكانها من الأرض وتأصلت فيها جذورها .

الاستراتيجية ومبادئها :

وقد جعل واضعو هذا المذهب الجديد « حقوق الملكية » هي الهدف الأول لحملتهم الشعواء ، وقالوا إن هذه هي المنشأ لجميع الشرور ، والجذر الذي تنفرع منه جميع المفاسد في الدنيا . أما أن تبقى الملابس والأواني وأثاث المنزل وما إليها من الأدوات الاستهلاكية الأخرى في ملكية الأفراد الشخصية ، فلا بأس بذلك ، ولكن الأرض والآلة وما إليها من الأدوات التي تنتج الثروة للإنسان ، فلا ينبغي أن تبقى عليها حقوق الملكية الفردية أبداً ، فإنه إذا كان فرد من الأفراد مالكاً لشيء من هذا القبيل ، فهو ينتج به الثروة ، وإذا أنتج الثروة فسيذخرها ويكثرها ، وإذا كثرها فسيشتري بها مزيداً من قطع الأرض أو الآلات وتكثر في يده الوسائل لإنتاج الثروة ، وإذا فعل كل هذا ، فإنه يستأجر غيره من أبناء جنسه ويعاملهم معاملة المشاهرة أو الجعالة أو المزارعة ، وإذا فعل هذا ، فلا بد أن يفعل كل ما يفعله الرأسمالي البورجوازي ؛ فيستولج كل ذلك أن يقطع من الأرض ذلك الجذر الذي تنفجر منه هذه الشرور وتنفرع هذه المفاسد .

وقد سئلوا في هذا المقام أنه ليست حقوق الملكية في وسائل الإنتاج شيئاً محدثاً ابتدعه الرأسماليون البورجوازيون ، بل هي ، كحقوق الملكية في الأدوات المستهلكة ، من الأسس التي ما زال يشيد عليها بناء الاقتصاد والعمران الإنساني منذ أول أمره ، فما الداعي إذن إلى اقتلاعها واستئصال شأقتها من غير تأمل ولا تبصر ؟ فما كان جوابهم إلا أن اختلقوا تاريخاً كاملاً للإنسانية ، وقالوا إن الأفراد ما كانت لهم حقوق الملكية الشخصية أصلاً في وسائل الإنتاج في بدء الإنسانية ؛ وإنما أحدثتها وأقامتها الطبقات القوية المستاثرة فيما بعد بسائق أثرها .

قيل إن هذه الحقوق ما زالت تعترف بها وتقر بها جميع الديانات والنظم الحلقية ، والقوانين والشرائع في الدنيا منذ أول أمرها . وما اختارت إحداها النظرية القائلة بأن تلك الصورة للاقتصاد والعمران التي تنشأ بالملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، هي خاطئة فليشة من المفان والسيئات من حيث هي . فما كان منهم إلا أن ادعوا من فورهم جواباً على هذا أنه ما زالت الديانات والأخلاق والقوانين آلات في أيدي الطبقات القوية الغالبة تتصرف فيها وتتخكم بها في مقادير الأمم المستضعفة ؛ لكل طبقة إذا تمكنت من احتكار وسائل إنتاج الثروة ، أحست بالحاجة الشديدة — خطأ لا حثارها — إلى طاعة القواعد — إلى طاعة من النظريات والمبادئ والرهوم والعوائد والصواب

فالدِّين وضعوا لها هذه الأشياء، وقدموها طبقاً لأغراضها ووفقاً لأهوائها قبل لهم الرسل والأنبياء ومعلمو الأخلاق وواضعو القوانين، فما زالت الطبقات العاملة منخدة بهذه الشعوذة مدة مديدة من الزمن، ولكنهم سينتهكون هذه الأستار ويفكون تلك الأغلال ويحملونها أثراً بعد عين.

وقيل لهم إنه لا بد للقضاء على هذه الحقوق واستئصالها من نزاع شديد تشبك فيه العناصر المختلفة من كل أمة فيما بينها وتتأجج به نار الحرب الطبقيّة في كل قرية من القرى، وفي كل حي من الأحياء. فما لبثوا أن أجابوا على ذلك واختلفوا فلسفة كاملة للتاريخ البشري أثبتوا فيها أنه مارزقت المدنية الإنسانية مارزقت من الرقي والنمو إلا بفضل الحرب الطبقيّة. فما لرقى البشرية ونموها وكلها من سبيل إلا هذه وحدها.

ثم قيل لهم إن عمل الإنسان لمنفعته الذاتية فهو مما قد فطر عليه وسيط من دمه، فلا تنشأ في الأفراد عاطفة السعى والجد إذا سلبتموهم ملكيتهم في وسائل الإنتاج ولم تدعوا لهم فرصة ليجنوا المنافع على قدر ما يجدون ويجهدون وذلك مما سيسبب في آخر الأمر هلاك المدنية البشرية وزوال عمرانها، فأجابوا على ذلك من فورهم ما هذه الأحاديث الواهية؟ أكلت الفطرة والجبلة والميول الفطرية والاتجاهات الموروثة؟؟ إنما هذه الكلمات كلها قد تولت كبر وضعها الطبقة البورجوازية لأغراضها، فإن الإنسان ليس فيه شيء يوافق مسميات هذه الأشياء وكل ما فيه من الميول والاتجاهات إنما هي وليدة البيئة والمجتمع. فإذا ما استبدلنا بيئة وبيئتها بمجتمع، صاغت في قلبه فكرته وأصبح قلبه مورداً لمواطني تلائمه، وأقبلت نفسه تخترع أفكاراً جديدة توافقها، وأخذ يتدبر الأمور ويرى فيها على حسب مقتضاها. فالناس فرديون بعقليتهم وفكرتهم مادام نظام الملكية الفردية قائماً وستنقلب عقليتهم جماعية حينما يقوم نظام الملكية الجماعية يظلمهم بظلمه الوارف.

ثم سئلوا بعد هذا: كيف وعلى أي نحو تسير شئون الإنسان الاقتصادية كلها بعد القضاء على الملكية الفردية؟ فأجابوا: بأننا سنؤم جميع وسائل الإنتاج كالأرض وللعامل وسائر دوائر الصناعة والتجارة: أي نخرجها من أيدي الأفراد ونحولها إلى ملكية شعبية أو جماعية، فالذين يشتغلون في هذه الدوائر، لا تتوزع منافعها إلا بينهم وهم الذين ينتخب بأصواتهم من يديرون تلك المصانع والمعامل ويكون بأيديهم زمام هذا النظام الاقتصادي الجديد.

ثم لما سئلوا أي خطة عملية تستعينون بها ويختارونها للقضاء على ملكية ملائكة

الأراضي وأصحاب العامل وما إليها من وسائل الإنتاج الأخرى وتحويلها إلى الملكية الجماعية؟ أجب على ذلك بجوابين مختلفين :
 قال فريق منهم : نحن نختار لهذا التغير طريقة جمهورية : أي نمتلك ناصية الأمر ونستولي على السلطة السياسية - بنهضة الرأي العام في البلاد ثم تحول تدريجاً - بالمكافأة مرة وبغيرها أخرى - ما فيها من الفجارات الزراعية والصناعات والتجارات الفردية إلى ملكية جماعية - بوضع القوانين الجديدة . فهوؤلاء هم الذين قد اختصت لهم كلمة الاشتراكيين (Socialists) عامة ، وقد يقال لخدمهم الاشتراكية الارتقائية ،
 وقال فريق آخر إنه لا يمكن أن يتأتى هذا التغير بالطرق الجمهورية ولا بد له من الأعمال الثورية : سنظم عامة العاملين الكاديين المعوزين لهذا الغرض ونعلن الحرب على الطبقات المالكة لوسائل الإنتاج بكل طريق ممكن ونقضى قضاء مبرما على حكومة الطبقة البورجوازية ونقيم في البلاد سيطرة قوية للعمال ، ونسلب ملاك الأراضي أراضيهم وأصحاب المصانع والتجارات مصانعهم وتجاراتهم واضعين السيف على رقاب المقاومين ، ومستحلين دماءهم . وسنمحو كل ما في البلاد من الطبقات المختلفة ونحولها جميعاً إلى طبقة واحدة : أي طبقة العاملين الكاسيين بأيديهم . وسنحرم بموجب القانون أن يستعمل أحد من الناس غيره - فرداً أو أفراداً - على طريق من الاستئجار ويستغل منفعته (١) . فإذا اكتمل هذا الانقلاب وبلغ أوج تمامه ولم يبق عليه خطر من انتعاش الطبقات الرأسمالية من جديد ، تنلثى سيطرة العمال هذه بنفسها - بزعمهم - وليت شعري كيف يتأتى ذلك ، ويحل محلها - بزعمهم الفاسد ، من غير أن يأتوا عليه بدليل أو برهان - نظام تسير فيه شعب الحياة كلها على حسب مرضاة الناس ومشاورتهم وتعاونهم من غير ما حكومة ولا إكراه . فهذا المبدأ الثاني يقال له الاشتراكية الانقلابية : وكذلك يسمى بلشفية وقد يسمى بالماركسية ، ولكن لقبه المعروف الذي تعرفه الدنيا به اليوم هو الشيوعية (Communism)

وما زال هذا المبدأ الجديد من الاشتراكية ينتشر بفروعه المتنوعة ومناهجه الفكرية المختلفة لسبعين أو ثمانين عاماً في أوروبا والبلاد التابعة لنفوذها السياسي ، وما كان في بدء أمره إلا اختراعاً تولى كبره رجال ممن أوتوا من قبل عقولهم ، وكانت مقدماته ودلائله ونتائجه كلها في غاية من السخافة والتضعف ، وما كان يقبل عليه ويتلقاه

(١) مما يجوز : بموجب النظرية الشيوعية أن يطبخ المرء أو يخطط الثياب للناس بالأجرة بنفسه ، ولكنه إذا استأجر عنده غلاماً بالأجرة أو المشاهرة واستعان به في عمله ، انقلب بورجوازيًا على الفور وأصبح عمله جريمة أقل ما يعاقب به عليها هو مصادرة أملاكه .

بالقبول إلا العلماء الناضجون وما كان قبولهم ذلك صادراً عن علم أو فكرة وروية ، بل إنما كانوا يتلقونه بالقبول لأجل عواطفهم الثائرة الهائجة . ومن أعاجيب ما فطرت عليه العقيلة العربية من الضعف وقلة الروية أنها مولعة أشد الولوع بالإغراب والابتكار ، ولا سيما إذا كان قد بلغ مبلغاً عظيماً من الغلو والسخافة وظل صاحبه بمحمد بمسلمات عظيمة كثيرة ويطلبها بدون توقف ولا روية ورتب دعاويه ودلائله بطريق علمي حتى نشأ فيها شيء كالنظام (System) . ولقد كانت هذه الخصائص توجد في هذا للبدا الجديد بأوضح معانيها الممكنة ، فأقبل عليه كثير من الرجال الأذكياء من الطبقتين السافلة والمتوسطة ، بل وكثير من الرجال التقيظيين من الطبقة البورجوازية نفسها ، وبدأوا يؤلفون الكتب ويصدرون المجلات والجرائد لشرح مبدئهم الجديد وتفسيره والدعوة إليه ، وانتظمت في معظم أقطار العالم أحزاب محامية لمختلف النظريات الاشتراكية ، حتى أخذ عدد كبير من أبناء آدم يحسب بالجد أنه من الممكن أن يقوم على هذه النظريات نظام للاجتماع والاقتصاد .

(يتبع)



» ضاقبت صفحات العدد عن الحلقة الثانية من بحث الأستاذ الفاضل عيسى عبيد إبراهيم ، وعن مقال الأستاذ الفاضل عبد القادر عوده في التشريع الجنائي الذي وصل متأخراً فإلى العدد القادم إن شاء الله . «

أيها المحلفون !

لا ... الله لا الملك

(٤)

(في اليوم التالي انعقدت المحكمة في الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وتابع مولانا محمد علي مرافقته موجهاً الكلام إلى هيئة المحلفين) .

أيها السادة المحلفون :

كنت أوضحت لكم أن نداء الملكة قد أعطى حماية القانون لجميع رجال الهند البريطانية في ممارسة شئونهم الدينية اعتقاداً وتطبيقاً . وكنت قد ررت لكم أن ذلك هو أساس القضية ، وأن العمل الذي يصدر عن أي شخص في الهند — مسلماً كان أو هندوكياً — ما دام هذا العمل مما يتصل بالديانة الدينية ، فلا سبيل لقانون العقوبات أو أي قانون آخر مما حملت عليه الهند البريطانية ليقف دونه أو يصل إليه بجزاء لأن القانون يعطيه حماية تلك التعهدات . غير أنه لا بد له من إقامة الدليل بأن ما قام به من عمل هو مما تأمر به تعاليم دينه .

وكما أخبرتكم بالأمس ، أن هذه المحاكمة في الحقيقة هامة جداً ، لأن القضية الواضحة فيها هي : هل لشريعة الله أن تسود أم أن لقانون البشر أن يهيمن على شريعة الله ؟ .. هل لنداء الملكة أو عهد الملك أية قيمة ؟ .. وهل القاضي ملزم بالعمل بهما وكذلك المحلفون ؟ ..

إنه ليس بوسعي أن أشرح قضيتي إذا كان القاضي قد أعد قراره . إنني لا أدري على أي أساس يتخذ ذلك القرار ، ولكنه قرار هام على أي حال بالنسبة لهذه القضية . ليس لكم أن تأخذوا قانونكم عن المدعى العام أو عني ، غير أنني أحب أن يكون واضحاً لديكم ، أيها السادة المحلفون ، أنكم إن منعم اليوم هندوكياً أو مسلماً أو مسيحياً حقه في القيام بواجبه أمام الله والعمل بما توجبه عليه عقيدته ابتغاء ثواب الآخرة وخشية العذاب ، ولم تسمحوا له أن يمارس تعاليم دينه ، فإنكم بعملكم هذا تكونون شركاء في جريمة تدمير الحرية الدينية التي يتمتع بها الناس في هذه البلاد . كنت أمهلكم أمس عن مستر هـ . ج . ولز (H . G . Wells) في كتابه

« الله ، الملك الذى لا يرى » وكذلك فى كتابه الآخر ، قصة « روح أسقف » . إنه يقول بأنه ينسب إلى السيد المسيح عيسى عليه السلام قوله « دع ما لقيصر لقيصر وما لله » ثم يسأل : من هو ذلك القيصر الذى يشاطر الله فى ملك هذه الدنيا ؟ ما الذى يعتبر ملكا لقيصر وليس هو فى نفس الوقت ملكا لله ؟ . . . ليست الدنيا مقسومة شطرين بين الله وقيصر ، كلا فإن الله تعالى هو الحاكم الوحيد . . . إن الملك ، أو أى مخلوق وليكن رئيس جمهورية أو قاضياً أو عضواً هيئة محلفين ، إذا طالبك بأمر فلا بد أن يطلبه الله ، أما إذا كان فى تلبية ذلك الطلب ما لا يرضى الله فلا سمح ولا طاعة . . . ويقول مسترولز : « ويوشك هذا المذهب أن يكون هو الديانة العالمية الحديثة » وعلى أى حال ، إذا صح ذلك أو لم يصح ، فإن هذه الفكرة جزء من عقيدة المسلم بكل تأكيد إنها ليست عقيدتى الشخصية أو هواى وأوهامى ، إننى أتحدى الحكومة ، وأتحدى المدعى العام ، أن يحضروا مسلماً واحداً يقول غير ما قلت ! !

ألا فلتعلموا أن كل مسلم يعيش فى الهند البريطانية — بل فى أى مكان ، إذا كان عليه أن يخضع لقانون البلاد فإن ذلك لا يكون إلا فى حدود معتقداته الدينية ، وهذا عين ما قلناه لنائب الملك سابقاً عند ما كنا فى المعتقل وعرض علينا شروطاً خاصة للإفراج عنا بأن نفعل هذا وندع ذاك ، فقبلنا على شرط عدم المساس بعقيدتنا وكذلك منذ زمن بعيد أرسلنا كتاباً إلى نائب الملك بواسطة رئيس سجن بتول (Betul Jail) حيث كنا معتقلين قلنا فيه :

« ولكن حيث أن الحكومة كما يظهر ليست تعلم كيف تصبغ عقيدتنا أعمالنا . وكيف ينبغى لأعمالنا أن تصطبغ بها — ومن هذه الأعمال ما يعد من الأمور الدنيوية — فإن شيئاً واحداً لا بد من إيضاحه هو : أن الإسلام لا يحجز لأحد من أتباعه أن يصدر حكماً على مؤمن آخر دون برهان مبين ، ونحن كذلك لم يكن باستطاعتنا بالطبع أن نقاتل إخواننا المسلمين ولما اتأكد من أنهم معتدون . أو أنهم لم يحملوا سلاحهم فى سبيل الدود عن عقيدتهم »

إننا لا نريد تغيير أشخاص الحكام ، ولكننا نريد بسرعة تأسيس حكومة مسئولة تجاه الشعب الهندى الموحد . وقد أملنا أن نكون قد وضحنا الأمور بما لا يدع مجالاً للريبة أو سوء التفاهم .

وهنا أمر آخر لا بد له من زيادة الإيضاح حيث أنه قد تبين لنا منذ ذلك الحين

أن مبادئ الإسلام التي منذ كرها الآن ليست مفهومة عموماً ، عند غير المسلمين كما يجب أن تفهم وخصوصاً في الدوائر الرسمية ، إن عقيدة المسلم لا تقتصر على الإيمان ببعض المعتقدات والسير في الحياة بحسبها ، بل لا بد للمسلم فضلاً عن ذلك أن يبذل ما أوتي من جهد — دون اللجوء إلى الإكراه طبعاً — في تبليغ هذه العقيدة إلى غيره ، حتى يؤمنوا بها ويخضعوا حياتهم لأحكامها ، وذلك هو تعبير القرآن الكريم ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهناك أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين هذا التكليف الخطير في الإسلام .

ليس للمسلم أن يقول : لا شأن لي بأخي ، فإنه إن نجو حق النجاة إلا إذا حض أخاه على فعل الخير ونهاه عن الشر . فإذا أكره مسلم على أن يغوص حرباً ضد مجاهدي المسلمين فليس عليه أن يأبى مخلصاً وحسب ، بل لا بد — ما دام يقدر الفوز في الآخرة حق قدره — أن يجتهد في إقناع إخوانه حتى يأبوا إياه . هذه هي عقيدتنا وعقيدة كل مسلم . وهي التي نطالب لتعيش بها أحراراً ، فإذا ما حيل بيننا وبين تبليغها فلا بد من أن نصل إلى القول بأن الوطن الذي تحد منه هذه الحرية لا يكون وطناً آمناً لعقيدة الإسلام .

لقد كانت التهمة الأولى التي وجهتها لنا الحكومة في السابق أنه « خلال الحرب احتجج إلى المسلمين ، مع التجدي لالتزاماتهم الدينية .. » لاحظوا التعبير أيها السادة ، « لمساعدة الحكومة في خوض الحرب ضد الخلافة والمجاهدين » . أتدرون ماذا صنع نائب الملك في ذلك الحين ؟ إنه لم يشفقنا بموجب المادة ١٢١ ، ولم ينفنا مدى الحياة كما تقتضي أحكام المادة ١٣١ . إن كل ما فعله أن أطلق سراحنا وأعد لإرسالنا إلى إنجلترا حتى أوضع شريعة الإسلام لرئيس الوزارة وأعضائها هناك ، ونحن الآن ، ولنفس السبب ، نحاكم على مؤامرة جنائية .

ليت شعري ما الذي يميز حالتنا عن غيرنا من المسلمين ؟ وما الموقف في هذه القضية تجاه تلك الآلاف ، بل مئات الملايين ممن يقولون اليوم بنفس ما نقول ؟ لم لا يحاكمون معنا ؟ ولقد كنت شكوت من تفكك الاتهام لأن عدداً كبيراً من المتهمين يحاكمون على عدد كبير من التهم ، ولكنكم إن تجدوا قاعة تتسع لمحاكمة الذين يحاكمون بتلك العقيدة مرة واحدة .

كما قلت مكرراً إنها ليست اعتقاداً غريباً ، وأنا الذي عشت مع رجال من الإنجليز وذهبت إلى إنجلترا لتلقي العلم في أكسفورد ، أنا الذي كنت على أتم صداقة مع الشعب

الإنجليزى ، إن علىّ مع كل ذلك أن أقول بأنه لا ينبغي لمسلم أن يخدم في الجيش البريطاني حيث يحمل على قتل إخوانه في سبيل الباطل ، لأن من واجبي أن أقول ذلك . لقد قلت سابقاً ، وأقول الآن ولا أزال أردد ما جئت بأن ذلك غير جائز في الدين ، وما ألى أن أعلم على المشائق ؛ وإننى لأرجو أن تنادى رفاقي من بلطن القبر أن هذه هي عقيدة المسلمين .

وبعد ، فلنأت إلى التهمة الأولى الموجهة ضدنا الآن ، ولتأتى تجلسون للقضاء فيها كمستشارين .

لقد بلغتم ورأيتم بأنفسكم أنه لم يؤت بأى شاهد ليثبت أنه كان هناك أى اتفاق فى أى وقت من الأوقات . لقد سألكم صديق هنا (المدعى العام) أن تأخذوا بالاتهام على أساس الاشتباه . أى اشتباه ؟ هل تراكم على عزم شقنا بسبب هذا الاشتباه الذى لم تقم أدنى قرينة لإثباته ؟

ما من أحد قط شهد بأنه رآنا أو سمعنا أو اشتبه بأننا فى مؤامرة أو اتفاق لارتكاب أى ذنب من الذنوب . لقد كنت فى إنجلترا فى شهر فبراير سنة ١٨٢٠ ، ولعل فى نفس اليوم الذى كنت فيه أقابل القائم بأعمال سكرتارية الدولة ، انعقد مؤتمر فى كلكتا اتخذت فيه قرارات معينة . هذا كل ما كان من دليل ضدى ، ومع هذا فإن على هذا الاشتباه أن يقوم مقام الدليل عند المدعى العام وإن أية قرينة كافية لنفينا مدى الحياة

أيها السادة ، إننى أستطيع أن أقول إننى لا أعرف شيئاً عن هذه المؤامرة . إننى لم أعلم متى ذهب شقيقى إلى أسام (Assam) ، إننى لم أعلم شيئاً عن ذلك حتى قام المدعى العام وقال بأنه سيأتى بشاهد لإثباته ؛ وبذلك علمت للمرة الأولى أن أخى ذهب إلى هناك . . . ذلك الماكر ! إنه يذهب دون علمي ؛ ويجري ربه أننى مبدى الحياة ! إن ذلك أسوأ ما فى أن يكون المرء شقيقاً أصغر (ضحك) .

إن ذلك لا يعتبر دليلاً على الاتفاق لارتكاب عمل جنائى ، وليس لكم أن تزعموا ذلك ، ولا بد لثبوتهم من إثبات لا شبهة فيه .

بالنسبة لمؤتمر كراتشى وإنه لشقيقى منقاداً من الاتهام به من حيث أنه لم يتكلم فيه ؛ ولكن المدعى العام يستطيع أن يسد تلك الثغرة أيضاً :

كان لمزارع فى أستراليا ابن على حظ من الذكاء قليل ، حتى لقد كان يدعو الناس الأبله ، وحينما محبه أبوه ذلك بسبب بله نوعاً من المهانة ، وقد دعى الوالد إلى حفل

مرة ؛ وأصر الابن على مصاحبته ، فأبى الوالد خشية أن يتكلم ابنه بين الناس فيدركوا أنه أبله فتلحقه مهانة أخرى . غير أن الابن وعد بأن لا ينطق في الحفل بكلمة ، وبعد لأي قبل الوالد أن يصحبه على هذا الشرط . وهناك جلس الابن في ركن قصي ؛ وقد تقدم لمحدثه عدد من الناس فلم يجب واحداً منهم بحرف ، وعند ما تقدم آخر ليلقي إليه سؤالاً قال له أحد الضيوف : « ما فائدة سؤال هذا الرجل ألا ترى أنه أبله ؟ .. » وفي الحال صاح الابن بأعلى صوته منادياً أباه الذي كان يجلس منه في الطرف الآخر من المائدة : أبي ، لقد عرفوها مع أنني لم أنكم ! (ضحك) .

وهكذا حزر المدعي العام أن أخى كان يتأمرأ في مؤتمر كراتنجي مع أنه لم يتكلم !
« يتبع »



هكذا كنا نحككم

قال عمر بن الخطاب يوماً على المنبر : يا معشر المسلمين ، ماذا تقولون لو ملئت برأسي إلى الدنيا هكذا ؟ — وأمال رأسه — فقام إليه رجل فسل سيفه وقال : كنا نقول بالسيف هكذا — وأشار إلى قطعه — فقال عمر : إياي تعني بقولك ؟ قال نعم إياك أعني بقولي ، فنهزه عمر ثلاثاً ، وهو ينهر عمر ، فقال عمر : رحمك الله ، الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوجت قومني .

الإسلام والعلاقات الدولية

الأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوي

(١)

أنشودة السياسة العالمية في العصر الذي نعيش فيه أن العالم وحدة لا تنقسم عراها ، وأن هناك حقوقاً سرمدية يجب أن يتمتع بها الإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه وموطنه ، وهى تلك الحقوق التى صيغت فى بضعة بنود تضمنتها وثيقة تسمى « الإعلان العالمى لحقوق الإنسان » . ومن النظريات الدولية البراقة نظرية المساواة فى السيادة ، وهذا كله كلام يتشدد به الساسة من منابر الأمم المتحدة ، وفى أنهر الصحف العالمية ، ويذهبون إلى حد القول أن هناك شعوباً ناهضة وأخرى متخلفة ، وأنه من واجب الأولى أن تقدم للثانية ضروب المعونة الفنية والصحية والثقافية وغيرها ، حتى يرتفع مستواها ، وتقوم عدالة دولية يرضى عنها جبار السماوات والأرض ؛ فهل نصدقهم فيما يدعون ونسير فى الركب آمنين مطمئنين ، أم نأخذ حذرنا وننظر للأمور نظرة فاحصة فنرى أننا نواجه خدعة كبرى ، يراد بها إسدال الستار على الماضى الرهيب ، والتسليم بالحالة الواقعية ، التى لا تعدو أن تكون سطواً منظماً ، ووصاية مقنعة يراد منا أن نقبلها طائعين مختارين ؟ وفى ضجيج هذه المسرحية الدولية ، تمتد الفيضة الاستعمارية إلى الثقافة والأخلاق والمعتقدات تحت ستار المعونة المقول عنها أو التجديد الزاحف علينا ، ولنا ندرى إلى أى مدى يصل نشاطهم فى هذا المضمار ، ولكننا نرجح أنهم يقومون بتبشير سياسى أشد خطراً من التبشير الدينى ويهدفون للقضاء على العصبية الإسلامية ، فنفقد شخصيتنا وتضعف مقاومتنا ونندمج فى الغزاة ونسلم لهم بالتبعية طائعين مختارين ، ولا يرون بأساً من أن تتمتع شعوب الشرق باستقلال سياسى بشرط أن تكون لهم اليد العليا فى شئونها الدفاعية وسياساتها الخارجية وحياتها الاقتصادية ، وتظل سقنهم تغترف الثروة التى أودعها الله فى جوف آسيا وأفريقيا فيأخذونها خامات ويردونها مواد مصنوعة تباع فى أسواق الشرق فيحققون أرباحاً جنونية ويقون ببلادهم شر تبطل الأيدي العاملة ، وإذا ما اكفهر الجو الدولى وكتب عليهم الخالق سبحانه وتعالى القتال ليدوق بعضهم بأس بعض يسخر المسلمون لحساب ما يسمونه « العالم الحر » موارد وبلادهم وأموالهم

وأرواح بنهم في اللبدان ، فيكسبون لهم المعركة بأعلى التضحيات ، ويجنون هم ثمرة النصر ، وتبقى لهم الكلمة العليا .

إن تلك القوى السياسية العاتية التي تألّحت بعد الحرب العالمية الثانية ، وراحت توزع الحظوظ والأرزاق بين الناس ، وتقف في مكان الصدارة وكأنها تهب الحياة أو تفرض الموت ، لا تؤمن بما تقول ، ولا تعمل بوحي من الموائيق أو للباديء التي تخدر بها أعصاب الشعوب المغلوبة على أمرها ، ولهذا زارها تنكّتل في مكافئة حركات التحرير ، وفي سجل السياسة العالمية بعد الحرب الكبرى الأخيرة (١٩٣٩) — (١٩٤٥) صفحات يتندى لها الجبين ، وتهدم ما تذيبه أبواقهم رأساً على عقب ، ولكي تضرب الأمثال للناس نذكر بذبح فلسطين في سنة ١٩٤٨ وإقامة إسرائيل فوق جماجم العرب لتحقيق حلم داعب أخيلتهم مئات السنين ، ومؤازرة بريطانيا ضد مصر في سنة ١٩٤٧ بمجلس الأمن وفي السنوات التالية في المحافل الدولية ، لتبقى قناة السويس أداة الغرب في السيطرة على الشرق ووسيلة أحفاد الصليبيين في تقطيع أوصال المسلمين ، والفرنسيون يستعبدون شعب الجزائر ويرتكبون أخط الجرائم ضد تونس ومراكش ، ولا تتحرك العدالة الدولية ، بل لا تحاول أن تسمع أو ترى لأن فرنسا دولة صليبية وأهل تونس والجزائر ومراكش عرب مسلمون .

وفي الهند الصينية قتال عنيف ولكن أهل هذه البلاد في نظر أمريكا وفرنسا وحلفائهما وحوش يجب أن تحصد هم الطائرات لأنهم يطلبون الحرية وكيف يسمح بتحريرهم وهم يزرعون الأرز وعندما مطاط وقصدير وصفيح وهكذا ، وهم شعب ملون ، وإيران المجاهدة طردت الإنجليز وحرمتهم من النفط الذي كانوا يسرقونه . وإذا كانت هذه الحركة الفذة قد صادفت هوى لدى الباحثين عن البترول من سكان نصف الكرة الغربي ، إلا أن الإيرانيين شرقيون ومسلمون ويجب أن يجوعوا وينقض الطرف عن الحصار والقرصنة البريطانية حتى يتأدّبوا في معاملة الرجل الأبيض ، والمحميات الواقعة في الخليج الفارسي وعلى البحر الأحمر يجب أن تبقى محميات ، وفي أفريقيا وما أدراك ما أفريقيا نهب بالجملة وبالقطاعي ، فهي مستعمرات ومحميات ووصايات موزعة بين جوارح المستعمرين ، وآخر ما وصلوا إليه على هدى الموائيق الحديثة أن ينسقوا مصالحهم وينظموا تلك السرقات التي لا تعد سرقة لأن السارق أبيض والمسرّوقون سود أو نحاسيون ، وفي جنوب أفريقيا تقوم حركة تدعوا لمعاملة الملونين كآدميين لهم ما للبيض من الحقوق ويرى البيض أن بيده هؤلاء وينقرضوا كما انقرض

الهنود الحمر في أمريكا ، وتتمتع منظمة الأمم المتحدة عيها وتبارك بسكونها الجور والعدوان ، وفي كندا تحصد نيران الإنجليز المجاهدين البؤاسل ، وترى عدلة « ليك سا كسس » أن « ماوماو » خارجة على القانون .

أما في علاقة الرجل الأبيض بأخيه الأبيض فالعالم كثلتان :

(١) كتلة ما وراء الستار الحديدي .

(٢) كتلة الغرب التي تزعمها أمريكا .

والحرب الباردة تدور رحاها وتتفجر نيرانها في كوريا وقد تندلع في غيرها ، ولا يدري المنجم شيئا عن المصير ، ولا نعرف نحن أين الفر . وكل كتلة منقسمة داخليا ، فلقارة الصينية سياسة خفية غير سياسة موسكو ، وحينما تلتقي الصين بالهند ستصبح كلمة آسيا للآسيويين حقيقة لا مراء فيها ، وفي الكتلة الغربية دول تجري في فلك أمريكا ولكنها تعمل لحساب نفسها قبل أي اعتبار آخر ، فقرنسا مسرفة في استثمارها الأفريقي وأمريكا تبحث عن البترول والحامات ويهمها أن تطرد فرنسا حينما تقضى بذلك مصالحها العليا ، وبريطانيا قد انهارت كإمبراطورية كانت الهند درتها وتركزت في مجاهل أفريقيا ، وترى الولايات المتحدة أنها الوارث الطبيعي للإمبراطورية البريطانية أو الدائن الذي أغرق مدينه ولا مندوحة له عن تصفية أملاك الدين في يوم من الأيام ، واستعدادا للمستقبل تضع الولايات المتحدة يدها في أوروبا وتحاول أن تخلق جيشا أوروبيا يكون أجيرا لها وتأتي إلا أن تهيمن على البحار غير مكنتية بالباسفيك فهي صاحبة قيادة الأطلنطي وقيادة أساطيل الغرب في البحر الأبيض المتوسط والمجترات فزعة من سياسة أمريكيا البحرية والمستقبل كفيل بتصفية إحدى الدولتين ، والولايات المتحدة قد تكثلت مع بلاد أمريكا الجنوبية فيما يسمى « بالأمريكانزم » وخلقت قانونا دوليا أمريكيا ومحكمة عدل دولية أمريكية ١١

وفي هذه التيارات الهائجة المائجة ، وقد وقع العالم كله في قبضتين ماديتين جبارتين لحمتها الحامات والأصواق والمناقص البحرية والاستغلال والنهب على أوسع نطاق ، لا بد أن تقوم قوة عالمية ثالثة ، تركز على المعنويات إلى جانب الماديات ، وتقف ميناجا متعا بين موسكو وليك سا كسس ، إذا صبح أن هذه الأخيرة هي طاصمة التكتل الغربي ، وهذه القوة هي الدولة الإسلامية العظمى (١) التي أقامها الله حينما ظهر الإسلام

(١) حين تحدث « المسلمون » عن [الدولة الإسلامية] فهي تعني بذلك الدولة التي قامت أول مرة على الإسلام الحق أو الدولة التي يجب أن تقوم على قواعد هذا الإسلام الخالد ، وهي دولة لا تقام إلا اليوم في أية لحظة من نواحي الأرض .

على الشرك لترتفع بالإنسانية إلى أعلى درجات الفضائل وتوزع العدل بين الناس بالقسطاس المستقيم ، ثم تأمرت عليها الصليبية الجشعة بضعة قرون ، واتكبت ضدها من الفظائع ما يبرأ منه سيدنا المسيح عيسى بن مريم ، ونحن حينما نكتب عن مجرائم العالم المسيحي نؤكد بادىء ذى بدء أن تلك الشعوب التي تدعى المسيحية قد كفرت برسالة عيسى بن مريم ، ورسالة المحبة بين الناس ، فدين عيسى لا يبيح القرصنة والاستعمار ولا يجيز إراقة الدماء ونهب خيرات الشرق ، ولا يعترف بالبابوية التي أوقدت نيران الحروب الصليبية ضد المسلمين ، قلما فزعت من نور الإسلام الذي حرم بيع صكوك الغفران واستنكر وجود وسطاء بين المرء وربه ؛ وإعادة بناء الدولة الإسلامية هو الضمان الوحيد لإقامة علاقات دولية على أسس سليمة ، بل صمام الأمن فيما نحن بصدده من مشكلات عالمية . ولإقناع العالم الضال بهذه الحقيقة نرانا مضطرين لمراجعة التاريخ وبحث أثر الإسلام في العلاقات الدولية ، يوم أن قامت للمسلمين دولة عظمى ، وسيوضح من ثنايا هذا البحث فضل الإسلام على العالم كله فيما يزعم الغرب أنه من بنات أفكاره من صور الحضارة وأسباب العزة .

وسينهار الإدعاء الصليبي الاستعماري الذي نسب إلى المسلمين تأخرهم لتمسكهم بالدين ، كي يصرفهم عنه ويتسع المجال للاستعمار ، وستظهر حقيقة ثالثة يجب أن نعلنها بكل شجاعة ، ومن غير مواربة ، وهي أن الحرب الصليبية التي أخفقت في العصور الوسطى قد استمرت رحاها دائرة ، وحطمت آخر امبراطورية إسلامية ، لما قتلت الرجل المريض في القسطنطينية في سنة ١٩١٨ ، ثم استمرت تعمل في الظلام حتى كتابة هذه السطور ، وقد آن للعالم أن يتحرر من هذا التعصب الأعمى ويدرك فضل الإسلام على الحضارة وأنه لا سلام بلا إسلام ، ولا خلاص إلا بقيام دولة للمسلمين .

وخطتنا في هذا البحث تنقسم إلى الأبواب الآتية :

أولاً — فكرة الدولة في الإسلام ، وأسس الحياة الدولية في شريعة محمد

ابن عبد الله .

ثانياً — الإسلام والعلاقات الدولية قبل الحروب الصليبية .

ثانياً — الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في أوروبا في العصور الوسطى .

ثالثاً — كيف انتقلت الحضارة إلى أوروبا عن المسلمين ولا سيما المراحل التي شنت

فيها الحروب الصليبية .

رابعاً — التآمر ضد الإسلام بدوافع استعمارية وتبصيرية .

- خامساً — الحروب الصليبية وتناجحها .
سادساً — طرق الملاحة العالمية كوسيلة لفرض سيطرة الغرب على الشرق . . .
سابعاً — الاستعمار الأوربي ومراحله المختلفة .
ثامناً — انهيار الدولة العثمانية ونتائج هذا الانهيار .
تاسعاً — المسلمون في معترك الحياة الدولية الحديثة .
عاشرأ — أسس جامعة إسلامية (١) .

والله نسأل أن يوفقنا لمعالجة هذه للسائل في المقالات التالية ، إن شاء الله .

كل ينفق مما عنده

مرّ المسيح ابن مريم يقوم من اليهود فقالوا له شراً ، فقال خيراً ؛ فقليل له :
لأنهم يقولون شراً وتقول خيراً ؟ فقال : كل ينفق مما عنده .

(١) الجامعة الإسلامية التي نعتيها هي الجامعة التي تقوم على أساس الإسلام البين الصريح ،
ولحساب المسلمين دون مؤثر من غيرهم ، وهي حين تقوم على هذا الأساس وبهذه الروح ستكون
خيراً للإنسانية كافة ، أما ما سوى ذلك من مشروعات على مسرح السياسة العالمية ، فهي لا تدرى
من أين بدأت ولا نعلم حقيقة وجهتها . « المستشرقون في الإسلام » ، التحرير .

سنة ابي ابراهيم

للاستاذ علي أحمد باكثير

المنظر : قاعة في دار الوزير شاور بن مجير النعمدي وزير العاصد بالله الفاطمي .

شاور : (يدخل فيرى جماعة من رجاله واقفين) هل هيأتكم كل شيء ؟

أحمد : (ميمون) نعم ياسيدي الوزير .

شاور : من رئيسكم اليوم ؟

الجميع : ميمون .

شاور : أجل . . . له عليكم الطاعة في كل ما يأمركم به . مهما يأمركم فأطيعوه

ونفذوا أمره ، أسمعوني ؟

الجميع : نعم .

شاور : ستقومون اليوم على خدمة ضيوفنا الكرام أسد الدين شيركوه وأمرائه

فالنظام النظام ، فإن أسد الدين رجله بقيادة لا يفوت عنه شيء .

(يدخل شجاع بن شاور)

شاور : أين كنت منذ حين يا شجاع ؟

شجاع : هل لي أن أتحدث إليك وحدنا ؟

شاور : اذهبوا الآن وتأهبوا لاستقبال ضيوفنا الأعزاء .

(يخرجون)

شاور : ماذا عندك يا بني ؟ بل أخبرني أولاً أين كنت ؟

شجاع : كنت عند أسد الدين شيركوه .

شاور : عجباً . . . أي شيء ذهب بك إليه وأنت تعلم أنه يدعو عندنا اليوم ؟

شجاع : ذلك ما دفعني إلى زيارته .

شاور : أذهبت تستعجله القدوم ؟

شجاع : لا يا أبي بل ذهبت أستطلع ما عنده لأرى هل عنده أي ارتياح في نيتك .

- شاور : ارتباب في نيتي ؟ ماذا تقصد ؟
- شجاع : لا تتجاهل قصدي . . إنك تعلم ما أريد .
- شاور : (بعد صمت قصير) أنت كثير الوسواس يا بني فماذا وجدت عنده ؟
- شجاع : لم أستطع أن أستطلع منه شيئاً فهو بعيد الغور كما تعلم .
- شاور : (في حدة) وملك أهذا كل ما عندك لتحدثني به على انفراد ؟
- شجاع : أصنع إلى يا أباي . إن بلادنا هذه قلعة من قلاع الإسلام الكبرى إذا سقطت في أيدي الصليبيين فلن تقوم للإسلام قائمة .
- شاور : هذا حق .
- شجاع : وأنت تعلم طمع القوم فينا ، ولولا خوفهم من نور الدين بالشام وما علموا من حرصه على دفعهم عنا لكانوا . . .
- شاور : (مقاطعاً في برم) ما أنت وهذه النصائح ؟ أتحسبني لأعلم هذه الحقائق ؟
- شجاع : أفلا يحسن بك إذن أن تقلع عن الكيد لأسد الدين شيركوه هذا الذي أنجدنا به نور الدين المرة الثالثة لما استنجدناه ؟
- شاور : (يتضحك) ويحك يا بني أما زلت تهمني بالكيد لهذا الرجل ؟
- شجاع : نعم . . كأنما لم يكف ما خنته من قبل ونقضت عهده مرة بعد مرة .
- شاور : قل عن الماضي ما شئت . أما اليوم فقد ترى أنني أحبه وأجمله ، ومن ثم دعوته اليوم لأؤكد له مودتي وإخلاصي .
- شجاع : بل لتغدر به غدرة مخزية . لتكيد له ولرجاله وهم في ضيافتك !
- شاور : (غاضباً) اسكت ! قطع الله لسانك ، لو سمعك أحد تقول هذا لظن أنه حق !
- شجاع : لا تحاول يا أباي أن تخدعني فقد علمت كل شيء .
- شاور : وملك ألتجسس على أهلك يا قليل الأدب ؟
- شجاع : أجل إن من نكد الدنيا على أن يكون قصارى عملي هو التجسس عليك لأحول بينك وبين جرائرك وفواقرك !
- شاور : ليتك قتلت أنت وبقي لي شقيقك طي . فلقد كان نعم الولد البر المطيع !
- شجاع : يا أباي لو كان أخي طي حياً ما وافقك على ما تصنع اليوم !
- شاور : اكفف لسانك عن طيء . . . لقد قاتل معي قتال المستميت حق قتل دوني .

- شجاع : إنما خف معك لقتال ضرغام حين أراد هذا أن يتوثب عليك وما كنت حينئذ خائفاً لبلادك ، ولم تكن قد حاولت بعد أن تبيع وطن المسلمين لأعدائهم الفرنج كما دأبت فيما بعد .
- شاور : كذبت . ليس فيما أنوى اليوم شيء مما ذكرت . إنما أردت أن أحول دون هذا الشامي الغريب على الوزارة مكاني . أفتريد يا غبي أن أسكت له حتى يتخلص مني ويأخذ بمنصبي ؟
- شجاع : يا أبا العزيز ليس بعينه غير أمر واحد هو ألا تقع بلادنا في قبضة الصليبيين .
- شاور : ومن قال لك أني سأدعها تقع في قبضتهم ؟
- شجاع : ها كما إذن سافرة ! إنك قد راسلت الصليبيين مرة أخرى لتسلم البلاد إليهم !
- شاور : ويحك هذا بهتان !
- شجاع : بل هذا حق ! وعندي البرهان !
- شاور : أي برهان ؟
- شجاع : البرهان الذي يدينك بالخيانة لو أبرزته لشيركوه أو للخليفة العاضد .
- شاور : ماذا تعني ؟
- شجاع : الرسالة التي بعثتها للقائد الصليبي فهي ذى عندي .
- شاور : كلا إنها ليست مني .
- شجاع : بخطك وعليها خاتمك .
- شاور : ويحك كيف وقعت في يدك ؟
- شجاع : هذا ليس من شأنك .
- شاور : إذن فأنت الذي عطلت تدبيرى بالعين .
- شجاع : بل كفيت البلاد شر خيانتك .
- شاور : أرددها إلي .
- شجاع : هيهات .
- شاور : ويحك أتريد أن تسلمها لشيركوه ؟ أتريد أن تقتلني ؟
- شجاع : إذا شئت ألا أسلمها لشيركوه فأطع ما أمرك .
- شاور : ماذا تريد ؟
- شجاع : من رجالك جميعاً أن يتركوا الدار الآن حالاً .
- شاور : والضيوف ؟

- شجاع : سنستقبلهم أنا وأنت وحدنا .
- شاور : كلا لا أستطيع أن أعرض نفسي للخطر .
- شجاع : إنك تضيفه اليوم بزعمك فأى خطر عليك من ضيفك إلا إذا كنت تنوى به سوء ؟
- (يدخل ميمون وخلفه اثنان من رجاله)
- ميمون : معذرة يا سيدى إن ضيوفك قد أقبلوا .
- شاور : قد أقبلوا .. استقبلوهم إذن .. انطلقوا .
- ميمون : أقبلوا يا سيدى فى جيش لجب ..
- شاور : فى جيش لجب ؟ !
- ميمون : نعم كأنما يريدون قتالنا !
- شاور : (ينظر إلى شجاع كأنما يريد أن يقرأ ما فى وجهه) ؟
- شجاع : لا ريب أن الرجل ارتاب فى نيتك ، فأظهر له الساعة أنك لا تنوى به شرا .
- اصرف رجالك كلهم عن الدار ولا يبق منهم هنا أحد ، ودعنا نستقبله وحدنا أنا وأنت .
- شاور : (غاضبا) بل أنت الذى دبرت هذا يا خائن ! اقبضوا على هذا السكاب !
- شجاع : (ينحدر سيفه فيصوبه إلى صدر أبيه) إن تحرك منهم أحد أغمدت هذا السيف فى صدرك !
- (يتوقف الرجال الثلاثة لا يدرون ماذا يصنعون)
- شجاع : مرهم بأن يرموا أسلحتهم هناك فى الأرض وإلا فوالله الذى لا إله إلا هو لأقتلك !
- شاور : أطيعوا هذا المجنون ! (يرمون أسلحتهم ناحية فى الأرض)
- (تسمع جلبة عظيمة خارج القاعة ويرتفع خلالها صوت جهورى يصيح)
- من ألقى بسلاحه فهو آمن ! من ألقى بسلاحه فهو آمن !
- شاور : (لابنه) أيها الجاهل المأفون سوف ترى أنهم لن يبقوا عليك بعدى .
- سيقتلوننى ثم يقتلونك !
- شجاع : لأن تقتل يا أبى والبلاد فى أيدي المسلمين خير من أن نعيش والبلاد بأيدي الفرنج (يقتحم القاعة خمسة من رجال شيركوه بينهم قائد اسمه رستم)
- شاور : رستم ! خلصنى من هذا الولد العاق .. هذا الذى أراد أن يكيد للأمير

- أسد الدين في داري وبغير أمرى ا لقد أراد قتلى لما نهيته ا
 رستم : (لرجاله الأربعة) ا قتلوا الخائن ا (مشيراً إلى شجاع)
 شجاع : بل اقبضوا على رستم هذا فهو جاسوس أبى عليكم ا
 رستم : (يثب على شجاع بضربة سيف فيلقيه صريعا) خذها يا خائن ا
 شجاع : (يصبح) اقبضوا على رستم ا إنه قتلنى لثلاً ا كشف سره لأسد الدين ا
 (يدخل أسد الدين شيركوه ومعه فريق من حرسه وهم شاكو السلاح .
 أسد الدين : (صائحاً) مكانكم جميعاً ا لا يتحرك منكم أحد ا (لرجاله) اقبضوا على
 هذا (مشيراً إلى رستم)
 رستم : علام ياسيدى الأمير ؟
 أسد الدين : اخرس ا قد كشفت اليوم أمرك ا
 شاور : (يرتقى على ابنه وهو يتصنع البكاء) ولدى ا ولدى ا
 شجاع : ابتعد عني ا لست ولدك ا (يصبح) كلا لا تأخذ الرسالة منى ... سأسلها
 لأسد الدين ا
 أسد الدين : (لرجاله) خذوا هذا الشيخ ا (يقبضون على شاور وينهضونه من
 الأرض)
 أسد الدين : (يلتفت إلى طبيبه) أسعف الشاب الجريح يانستورس .
 نستورس : سمعاً ياسيدى الأمير .
 أسد الدين : (يدنو من شاور) هات ما بيدك .
 شاور : إنها رسالة تخصنى .
 أسد الدين : (ينتزعها من قبضة يده) هاتها ويالك .. (ثم لرجاله) سوقوا هذين
 الخائنين إلى العسكر ، وقولوا للأمير صلاح الدين ينتظر فيهما أمرى .
 (يخرج الرجال بالأسيرين شاور ورستم ولا يبق مع أسد الدين غير
 صفوة حرسه) .
 أسد الدين : (يدنو من الطبيب) كيف تجده يانستورس ؟ هل من أمل فى إنقاذه ؟
 نستورس : (يتعم) ضعيف ياسيدى الأمير .
 أسد الدين : (فى أسى) مسكين : فداننا بروحه وآثرنا على أبيه .
 شجاع : (يفتح عينيه ويتعم) أين أنا ؟ أين أسد الدين شيركوه ؟
 نستورس : ها هو ذا بين يديك .

أسد الدين : شجاع . ألا تعرفني ؟

شجاع : أجل . الحمد لله إذ سلمت من كيد الخائنين .

أسد الدين : بفضلك يا شجاع . والله لا أندري كيف تقوم بشكرك .

شجاع : كلا لا تشكرني يا أسد الدين ، إنما فعلت ذلك من أجل الإسلام لا من

أجلك . . . سامحني يا أسد الدين . إذ لم أخبرك بهذه الحيانة من قبل .

فقد كنت أطمع أن يهدي الله والدي إلى سواء السبيل . . . ولكن . . .

(تخنقه العبرة) . .

أسد الدين : لا تبتئس يا بني فقد أدبت أنت ما عليك .

شجاع : هل لك في معروف تسديه إلى يا أسد الدين قبل أن ألقى الله ؟ .

أسد الدين : اقترح ما تشاء أنفذ طلبك .

شجاع : إذا قضيت على شاور بالقتل فلا تقتله حتى تستتيبه عني أن يتوب الله عليه

فإني أخشى . . (تخنقه العبرة ثانية) .

أسد الدين : ماذا تخشى يا بني ؟

شجاع : أخشى يا سيدي ألا أراه في الدار الأخرى أبداً .

أسد الدين : أما إنك لتحبه يا شجاع .

شجاع : (بصوت متقطع) كيف لا ؟ إنه أبي . . أبي

أسد الدين : اطمئن يا بني فسا فعل ما تريد .

شجاع : (بصوت كالخسرجة) جزاك الله خيراً يا أسد الدين (يموت)

أسد الدين : (يحركه) شجاع ! شجاع !

نسطورس : انتهى يا سيدي الأمير .

أسد الدين : (يقبل جبينه باكية) الحمد لله الذي جعل في المسلمين مثل هذا حتى اليوم .

« رمتار »

هل قدمت « للمسلمون » إلى مشترك جديد ؟

افعل ، فإنك بذلك تضيف إلى الأسرة أخا جديدا . . .

السياسات الاقتصادية في الإسلام

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بالباكستان

(٢)

على أن من الاقتصاديين - وأولهم وعلى رأسهم العلامة مارشال - من يرى أن علم الاقتصاد دراسة للثروة من ناحية ومن ناحية أخرى دراسة للإنسان ذاته ، ولكن هؤلاء يقصرون دراسة العلم على الناحية « المادية » فما حقق خبراً « مادياً » دخل في عداد هذا العلم . وهنا الثغرة التي ينفذ منها الفساد فكم من « خير » مادي لا يحقق « السعادة » التي تسعى إليها البشرية في مركبها الحافل من فجر التاريخ حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ما فائدة أن نجعل لكل فرد في هذا الدنيا قصرًا منيفًا وزينة ومتعة وسيارة ومذياعا . . . الخ ما فائدة كل ذلك إذا لم تستشعر النفس الهدوء وإذا لم يكن لها مثل أعلى تسعى إليه وإذا لم تجد بعض « السعادة » الحقة في هذه الدنيا الفانية . ألا صدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون وليبوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » .

إذا ثبت لنا أن السياسات الاقتصادية الحاضرة مبنية على أسس خاطئة فللمرء أن يسأل : هل قرر الإسلام نظماً موضوعية وبين سياسات مرسومة حتم على المسلمين أن يسلكوا سبيلها في دنياهم المعاشية ؟ ؟

من علماء المسلمين من يظن أن الإسلام وقد جاء للناس كافة ، وللأزمان المتعاقبة لم يحدد سياسة اقتصادية بل ترك ذلك للناس في مختلف العصور يقررون ما هو خليق بهم ونافع لهم « أنهم أعرف بأمور دنياكم » وأنه لم يقرر إلا ما سبق أن ذكرناه ومثله من المسائل العامة دون تحديد أو تفصيل ، وهم يرون ذلك أدنى إلى منطق الإسلام

وطبيعتها ، فلتن كانت الرأسمالية لازمة لتطور الإنسان في عصر من العصور فهي معوقة ما أدت رسالتها وانتفت حكمتها ، ولتن كانت الاشتراكية هي النظام الطبيعي الذي يعقب الرأسمالية ففي الإسلام ما يبيحها ، ولتن كان تطور المجتمع سيورث الشيوعية بعد الاشتراكية المعتدلة فقد وعى الإسلام ذلك وأباحه فيما لا يخالف المبادئ الإسلامية ، وبهذا يفسر أولئك العلماء ما جاء في أحكام الإسلام من مختلف القواعد الاقتصادية الخاصة بالملكية الفردية والملكية الجماعية والإنتاج الفردي والاستغلال الإيجارى وتحريم كل منهما .

وهناك فئة أخرى من مفكرى الإسلام لا ترى هذا الرأى وتنتقده بأن الإسلام لم يفرط في شيء وأنه دين عملى مثالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وأنه شامل كامل ولتن صرح اختلاف تطبيق بعض قواعده العامة باختلاف الأعصر والأزمان والبيئات فإن الكليات باقية وهي في حد ذاتها تكون نظاما مكتملا لا تعارض فيه ولا تضارب ، بل إنهم ينزهون الدين الإسلامى عن هذا القصور ، ويعلمون ما جاء في بعض الأحكام التى تبيح الملكية الفردية بأن ذلك حكم مؤقت ليس المقصود به إقرار الأمر أو تحجيزه ولكن يقصد به استدراج جمهرة المسلمين من وضع إلى وضع أحسن وأرقى ، وقيسون ذلك بإباحة الرق في الإسلام إذ لم تكن تلك الإباحة المقيدة إلا تعليماً للناس وتمشياً مع سنة الخلق في التدرج من البداءة إلى الكمال البشرى .

ومهما يكن من أمر فإن المتدبر في أصول الإسلام يرى أموراً غاية في الوضوح والدقة وإذا ما اتخذت أساساً للبحث والتطبيق فلن يكون هناك مجال للخلف والتباين .

حق الأفراد وواجب الدولة : قلنا أن الإسلام يفترض أن يعيش معتنقوه في بيئة منظمة وهو يغالى في النظام في جميع مظاهره وفي الحديث « إذا كنتم ثلاثة فأمرُوا عليكم واحداً » فهو لا يقبل الفوضى ولا يعترف بها . من أجل هذا أقام النبي صلوات الله عليه دولة بكل ما فى الكلمة من معان . وما دامت هناك دولة فلا بد من حقوق وواجبات ولا بد من تقنين وضوابط وإلا عمت فوضى أوخم عاقبة وأشد وطأة .

قرر الإسلام للفرد قبل الدلة حقوقاً معينة نجملها في الأمور الست الآتية : —

- ١ — حق المأكل والمشرب . ٢ — حق المسكن . ٣ — حق اللبس .
- ٤ — حق التعلم . ٥ — حق العمل . ٦ — حق النقد والمقاضاة والحكم .
- والأمر السادس — وإن كان له أهمية بالغة في الاقتصاد إلا أنه في باب السياسة

« أدخل وقصد الشارع بتقرير هذه الحقوق ألا يجوع مسلم في الدولة الإسلامية وألا يعطش أو يعرى وألا يبيت بلا مأوى وألا يجارى البهم جهلاً وألا يعيش عالة على من عداه . وقد ورد في ذلك كثير من الآيات والأحاديث فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكنفى يا رسول الله فأعرض عنه الرسول — لعدم استطاعته — ثم عاد فقال : اكنفى يا رسول الله فقال « أمالك جارك له فضل ثوبين ؟ » قال بلى غير واحد قال « فلا يجمع الله بينك وبينه في الجنة » — وقال صلوات الله عليه « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال راوى الحديث فذكر أصنافاً من المال حتى رأينا أن لاحق لأحد منا في فضل . وعن جابر بن عبد الله أنه قال « يامعشر المهاجرين والأنصار إن من أخوانكم من ليس له مال ولا عشيرة فليضم أحدكم إليه الرجلين والثلاثة » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان عنده طعام اثنین فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع ، بخامس » وحكى رسول الله « أن رجلاً دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدي فوق درجتي ، قال نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك » وعن أبي هريرة « تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين ، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بنجيات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها ويعمر بأخيه قد انقطع فلا يحملها ، وأما بيوت الشياطين فلا أراها إلا هذه الأقفاص التي تستر الناس » — ولعمري لو رأى الرسول عليه السلام هذه السيارات وتلك القصور التي ينعم بها الأغنياء لأبدل بها النجيات والبيوت . . .

وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقال تعالى : « فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » وغير ذلك من الشواهد تفيض به كتب الحديث الشريف ويستشف من سيرة المصطفى عليه السلام وسيرة من خلفه من الراشدين .

رب قائل يقول إن ما أسلفناه جميعه من باب النصيحة ، وهذا وإن كان صحيحاً في ظاهرة إلا أن الحقيقة هي أن قول الرسول عليه السلام أمر « وما آتاكم الرسول فخذوه » وأن الأفراد لو اتبعوا النصيح في كل معاملاتهم لما احتاجوا إلى قانون ولكن الطبيعية البشرية تحتم وجود القانون والعقاب والزجر . وهكذا تحمل وصايا الرسول على أنها أوامر يجب لها الطاعة وكليات ينظمها القانون الوضعي فلا بد من كفالة إجتماعيه يضمن فيها للفرد ضروريات حياته ويطمئن فيها على موارد رزقه ، وذلك

في صورة عامة وفي حدود دنيا لا يصح النزول عنها ^(١) . من أجل هذا كنا نحمد رسول الله صلوات الله عليه يأكل مما يأكل الناس ويلبس مما يلبس الناس ويمشي في الأسواق ويسكن كما يسكن القوم ويعمل بيديه ويتعلم من لدن حكيم خبير ويعلم الناس مما علمه الله وخلفه الراشدون رضوان الله عليهم فما تميزوا عن رعيته في مظهر ولا شعبوا يوماً وبطن فرد من أفراد أمتهم خواء .

هذه الحقوق الأولية أوجبت على الدولة عبثاً ثقيلاً ، ولئن كانت حياة الناس في صدر الاسلام هيئة رغيدة بما حققت الدولة من فتوحات وبما أفاءت الفتوحات من مغنم فلم يحتج الأمر إلى تنظيم اقتصادي خاص إلا أن التاريخ أورد لنا أن واجب الدولة نحو الفرد في النظام الإسلامي يستلزم أن يكون للدولة سلطان واسع على تصرفات الفرد وفي الحد من حريته وفي فرض الضرائب المختلفة وليس أدل على ذلك مما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في عام المجاعة فإنه لما رأى القحط اشتد والطعام نادر والناس متفاوتة الأرزاق ، ولما أحس أن من بين رعيته من ينام على الطوى ومنهم من يخزن أكثر من كفايته صادر الكثير من الطيبات وأودعها بيت المال وقسمها على الناس كل بقدر حاجته ولم يعترض آئذ على عمر أحد من الصحابة بل أقروه على ما فعل . ^(٢)

هذه السابقة لها خطورتها وأهميتها فهي مفتاح لكثير من المغلقات ، إذ استنتت قاعدة خطيرة في سياسة الاقتصاد الإسلامية وهي سياسة اشتراكية من نوع خاص Generis فهي تفسير واسع لقوله صلى الله عليه وسلم « إن في المال حقاً غير الزكاة » وهي تعميم لقوله عليه السلام « إن المسلمين شركاء في ثلاثة : الماء والنار والكلاء » وعلى هذا الأساس فإن الدولة الإسلامية حق بمكنتها أن تعمل أفرادها وأن تلتزم قبلهم بواجبها وأن تؤدي حقوق الفرد السالف ذكرها فلها أن تصادر الثروات وأن تعيد توزيعها بين الناس بالشكل الذي يحقق أكبر قسط من العدالة وبالطريقة التي تلائم العصر الذي يعيش فيه المسلمون .

هنا يقف المرء قليلاً متمعناً ؛ فقد صادر عمر بعض الطيبات « الاستهلاكية » ولكن هل يبيح الإسلام مصادرة الطيبات « الإنتاجية » ؟ وبمعنى آخر ما موقف الإسلام من الملكية الخاصة ، هل يبيحها إطلاقاً أم يورد عليها بعض القيود ؟ أم هل يجيز الإسلام

(١) وهذا يؤيدني فيه كثير من الفقهاء الذين رأوا أن كل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة الطلب فهو لازم إلا أن يصرف عن ذلك صارق .
(٢) نعم القوم الأشعريون كانوا إذا جاهدوا من سفر أحضروا ما معهم فقصده به بينهم بالسوية .

مصادرة رأس المال المنتج أيضا وضعه للدولة إذا كان في هذا صلاح لأمر الرعية ؟
وأخيراً هل سككت الإسلام عن هذه المشكلة التي تحتل أذهان كل فرد في عصرنا الراهن
والتي يصطارع من أجلها العالم الغربي الديمقراطي والعالم الشرقي الشيوعي ؟

حق الملكية الفردية : يقول الحق تبارك وتعالى « هو أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها » ويقول « ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض
وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ويقول : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم »
ويقول : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا
لهم أجر كبير » ويقول : « أيحسبون أنما نمدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون » .

وعن جابر بن عبد الله : كان لرجل منا فضول أرضين فقالوا لو أجرها بالثلث
أو بالربع أو النصف فقال الرسول عليه السلام « من كانت له أرض — أى واسعة —
فليزرعها أو يمنحها أخاه ، ولا يؤاجرها إياه أو يكرمها » . وعن ابن عباس أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج إلى أرض تهتز زرعاً فقال : « لمن هذه الأرض ؟ » فقالوا :
أكرها فلان فقال : « لو منحها إياه كان خيراً من أن يأخذ عليها أجراً معلوماً » .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ستقناها على سبيل المثال وفي القرآن كثير
غيرها يؤيدها ويعضدها وفي الأثر الشريف من الأحاديث ما يعزز ما ذهبنا إليه ويثبتة ،
فالقاعدة العامة هي أن الله سخر لنا موارد الأرزاق وهو الذي فطر السموات
والأرض وما فيهن ، فكل ما على هذه الأرض من خلقه ، وقد قال الله تعالى :
« هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » ويقول « إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف
الطالب والمطلوب » ويؤمن علماء الطبيعيات على هذا القول الرباني فيقررون أن الإنسان
لا يستطيع خلق المادة ولكنه يستطيع تحويلها من شكل إلى آخر . إذن فالمقدمة
الأولى هي أن معادن الأرض وخيراتها المستغلة في الانتاج ، أو بعبارة أخرى ، جميع
الطبيات « الانتاجية » في عناصرها الأولى هي من هبة الخالق وفضل الطبيعة وليس
للعمل أو للإنسان دخل فيها ، إنما يعمل الإنسان ليغير من شكلها أو ليوافق بينها وبين
رغباته التي يستمد منها .

(يتبع)

العبرة في يوم حنين

للأستاذ محمد الطيب النجار

أستاذ التاريخ الإسلامى بالأزهر

كان يوم حنين في الخامس من شوال وفي العام الثامن من الهجرة النبوية ، وكان هذا اليوم الحالد صدى لا بد منه ليوم الفتح الأعظم وامتدادا طبيعيا لتياره القوى ، إذ كان موقف المسلمين - وقد أنعم الله عليهم النعمة بفتح مكة - يحتم عليهم ألا يطيلوا الانتظار بها أو يطمثوا إلى الاستقرار فيها ، فهي حينئذ واد لم تظهر مسالكه وشعابه ، بل هي بيت لم تؤمن نوافذه وأبوابه ، ولئن كانت قريش قد اعترفت بالأمر الواقع وأذغت لرسول الله والمسلمين ، فلا يزال على مقربة منهم قبائل هوازن ونصر وحشم وهم عدو يتلنس القرس ويتربص الدوائر ، ويرى في دخول المسلمين إلى مكة مؤيدين بهذا النصر المبين شرا مستطيرا يهددهم في ديارهم وعقيدتهم ، وهو شر يجب القضاء عليه أو الموت دونه . . . ومن أجل ذلك فقد بدأوا يجمعون جموعهم بقيادة مالك بن عوف النصري ويريدون العدوان على المسلمين . وكان هذا العمل من جانبهم خافزا للمسلمين إلى الإسراع في درء هذا الخطر واستئصاله قبل أن يتسعر لهيبه ويتفاقم شره ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاء هوازن في جيش ضخم اهتزت له البطحاء وتسمع العدو إلى أنبائه في خوف وحذر إذ كانت عدته اثني عشر ألفا . حتى لقد أعجب المسلمون بكثرتهم وقال بعضهم لبعض : لن نُغلب اليوم من قلة ، وحتى قال بعض الشعراء من المسلمين ينصح إلى هوازن بالإذعان والتسليم .

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها
مضى رسالة نصح فيه تبيان
أني أظن رسول الله صابحكم
جيشاً له في فضاء الأرض أركان
تكاد ترجف منه الأرض هيته
وفي مقدمه أوس وعثمان

وتروي لنا كتب السيرة كيف وقعت المعركة ، وكيف تفرق المسلمون في أول الأمر ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً حينما كرت عليهم هوازن في عماية الفجر ، وكيف ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كالطود الراسخ يهزأ بهذه العاصفة الحقاء ، ثم اجتمع إليه المؤمنون المخلصون حينما سمعوه يقول : « إلى أين أيها الناس ؟ هلم إلى ، أنا رسول الله ، أنا رسول

الله ، أنا محمد بن عبد الله » وحينما سمعوا عمه العباس ينادى بأعلى صوته : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان . . فأجابوا ، لبيك لبيك « ثم أنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة . . » فلا يعنيننا إذن أن نطيل الوقوف أمام تلك المعركة بسرد تفاصيلها فقد أوسعت كتب السيرة الكلام في هذا الصدد ، ولكننا سنقف لدى بعض العبر فيها عسى أن يكون لنا في ذلك الماضي الكريم ما يحفز هممتنا إلى حاضر جليل ومستقبل عظيم .

ففي يوم حنين تلاقى الجمعان : فئة كثيرة تقاثل في سبيل الله وفئة قليلة تقاثل في سبيل الطاغوت ، ومن عجب أن الفئة الكثيرة المؤمنة يتخلى عنها أول الأمر نصر الله وتأبيده فتغلبها الفئة القليلة الكافرة . . . فكيف ينتصر الباطل القليل على الحق الكثير وللحق دائماً قوته ومضاؤه ؟ وكيف يستطيع الكفر هذا المضي والإقدام ، وتثبت له أمام الإيمان أقدام ؟ لقد أوضح الله عز وجل ذلك في محكم كتابه فقال : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . فالآفة كلها حينئذ هي الغرور ، والداء كله هو عدم التبصر واليقظة في الأمور ، فلقد ظن المسلمون أن كثرتهم ستصل بهم إلى نصر حاسم لا ريب فيه ، ونسوا — إلا قليلاً منهم — أن العناية الإلهية هي أبداً أساس النصر والظفر ، وأن كثرة العدد وحدها ليست كل شيء في ميادين الحروب ؛ إنما القيمة الكبرى في الإيمان الذي يملأ النفوس ويعمر القلوب .

ولو استرجع المسلمون في يوم حنين تاريخهم قبل ستة أعوام لرأوا أنفسهم في يوم بدر فئة قليلة ، ولكن الله نصرها نصراً مؤزراً على الفئة الكافرة الكثيرة . . . ذلكم بأنهم في يوم بدر لجأوا إلى الله وحده لا إلى قوتهم ، واعتمدوا على حوله وقوته لا على كثرتهم ، ومن هنا نلتهمس العبرة والموعظة الحسنة ، والناس دائماً — أفراداً وجماعات — يتدافعون في معترك الحياة على أساس من القوة المادية . وهم في ذلك فريقان : فريق يرى أن هذه القوة وحدها هي كل شيء فهي التي تتحكم ، وهي التي تنقض وتبرم ، وهي التي توجه دفة الأمور وقتها تشاء وأينما تشاء . . . وفريق آخر يرى أن القوة المادية مهما بلغ أمرها إن لم تركز إلى خالق القوى فهي بناء لا أساس له سرعان ما يتداعى وينهار ، وهذا الصنف من الناس هم الذين وقف التاريخ دائماً بجانبهم يؤيدهم ويؤكد رأيهم ، وهم الذين يبدون المجد الخالد فلا تعصف به الأنواء ؛ بل تتحطم على صخرته ، وتذوب أمام قوته .

... والمسلمون اليوم كثرة ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، وليس يجديهم قليلا أنهم على كثرتهم — يتسابقون إلى التساح المادى إن لم يتسلحوا باليقين والإيمان . . . وما قيمة السيف في يد الجبان ؟

ولا شك أن هذا الإيمان هو الذى جعل المسلمين بعد أن فرؤوا عن نصرته الرسول في يوم حنين يتذكرون فإذا هم مبصرون ، وإذا هم تحف بهم السكينة . وتشرق في قلوبهم الطمأنينة . فيندفعون إلى لقاء أعدائهم صفاً كأنهم بنیان مرصوص ، فينصرهم الله لأنهم — حينئذ — لم يلجأوا إلى كثرتهم وقوتهم ، بل لجأوا إليه ، واعتمدوا قبل كل شيء عليه « وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً » .

وفي يوم حنين وقع المسلمون في خطأ لم يعرفوه إلا بعد أن لمسوا عاقبته الوحيدة ؛ فلقد خرج معهم ألفان من أهل مكة وفيهم عدد كثير دخلوا إلى الأسلام ظاهراً ولما يدخل الإيمان في قلوبهم . وهؤلاء كانوا في جيش المسلمين طابوراً خامساً كما يقولون ، وكانوا أضرب على المسلمين من الأعداء المحاربين ، وهؤلاء الناس هم طلاب المنفعة العاجلة يلتمسونها حيثما كانت ، وقد وضحت حقيقتهم حينما تفرق المسلمون في بادئ الأمر عن الرسول . إذ قال أبو سفيان شامتاً : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وإن الأزام لمعه في كنياته ، وصرخ جبلة بن الجليد ألا بطل السحر اليوم ، وقال رجل من قريش لصفوان بن أمية : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال : ويلك أتبشرني بظهور الأعراب ؟

ولعمري إن في ذلك لعبرة وتبصرة ؛ فالأمة التي تلتقي بعدوها لا بد أن تظهر صفوقها من هذا الصنف الخبيث ، وأن تتقدم إلى الميدان نقية من الشوائب ، خالصة من المعاطب ، وإن الجندى الواحد من ضعفاء العقيدة والإيمان لأشد في الضرر والبلاء من عشرة أعداء . . . فليحذر الدين يحاهدون أعداءهم من هذا الطابور الخامس ، وليستأصلوه من جسم الأمة كما يستأصل الداء ، وليسكافوه كما يكافح الوباء إن أرادوا الفوز والنجاح .

وبعد فإن لنا في يوم حنين لعبرة نسأل الله أن يجعلها بين أيدينا نوراً يضيء ، وأن تكون أساس الخير في حركتنا المباركة وجهادنا الميمون .

الحكمة وراء نظام الإرث

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي

تذهب بعض المذاهب الاشتراكية الحديثة إلى عدم مشروعية الإرث بناء على منعها للتملك الفردي ، وتعلل ذلك بأن قواعد العدالة تأبى أن يملك الوارث مالا لم يتعب في تحصيله ، وقد يكون المال الموروث مجموعاً من طرق ظالمة ، فليس من العدالة أن يعطى لمن لا يستحقه . وأيضاً فهذان ولدان يولدان: أحدهما من غنى ورثته أبوه أموالاً طائلة سينفقها في اللذة والإثم ، وسيكون عالة على المجتمع لا يبذل جهداً ولا يقدم عملاً . والثاني من فقير ليس له مال يورثه ، وعليه أن يسعى بنفسه لتحصيل قوته ، فما ذنب هذا الصبي الفقير ؟ وما ميزة ذلك الغني ؟ أليس هذا تفاوتاً يجب أن تمنعه العدالة ؟ .

الإرث في الإسلام :

ولكن الإسلام — كبقية الشرائع السماوية والمذاهب الاشتراكية الأخرى وغيرها من المذاهب الاجتماعية — يعتبر الإرث حقاً شرعياً بناء على إباحته للتملك الفردي ، وكل ما جاز أن يملك جاز أن يورث .

فمنع الإرث أو مشروعيته ثمرة الخلاف في الملكية الفردية التي يجيزها الإسلام — ضمن حدود معينة — وتمنعها بعض المذاهب الاشتراكية .

وليس هذا مكان التدليل على صحة النظرية الإسلامية في الملكية ، ولكن الواجب يقتضي أن نشير إلى أهم المبادئ العامة التي وضعها الإسلام للتمليك والتصرف في الأموال ، حتى يندفع ما قدمناه من حجج القائلين بمنع الإرث وما زعموه من أنه منافي للعدالة والمساواة .

أهم المبادئ المطالبة في الإسلام :

١ — أول ما يقرره الإسلام اعتبار الأموال وما في الأرض من ثروة وممتعة وما في السماء من طيور ونجوم وشموس وأقمار ، ملكاً لله وحده لا ينازعه فيه منازع وفي ذلك تكرر في القرآن مثل هذه الآيات لتأكيد هذا المعنى وتقريره « لله ملك السموات » . « لله ما في السموات وما في الأرض » . « وما بكم من نعمة فمن الله » . « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » .

٢ — الإنسان في الحياة أكرم مخلوقاتها ، « ولقد كرّمنا بني آدم » وكل ما في الكون مسخر له ، فالناس سواسية في الانتفاع بما خلق الله في السموات والأرض : « هو الذي خلق لكم ما في السموات والأرض وسخر لكم الفلك ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر ، وسخر لكم الليل والنهار » . « سخر لكم ما في الأرض » « سخر لكم ما في السموات » .

وانظر ما أروع هذا التعبير وأبعد دلالاته . . . الشمس والقمر والسماء والأرض والليل والنهار وكل ما في الحياة « مسخر » للإنسان ، وقد قال علماء اللغة : « السخرة ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن ، وسخرته في العمل استعملته مجانا ، وسخر الله الإبل ذلها وسهلها » .

٣ — للمال وسيلة لا غاية ، وهو إحدى وسائل الخير في الحياة ، به يتعامل الناس ويتبادلون السلع ، وينفع بعضهم بعضاً ، فالمال خير إن استعمل وسيلة للخير ، وإلا كان شراً يؤدي إلى ضرر الناس ، أما إنه خير فذلك حين يكون وسيلة إلى التراحم ، وسد حاجة البائسين ، وإقامة المجتمع على أسس متينة من التعاون والتساند ، ولهذا عبر عنه في القرآن بالخير في مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت — إن ترك خيراً — الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » قال المفسرون إن المراد بالخير هنا هو المال ، ولا مجال لإرادة شيء من لفظ « الخير » في الآية إلا المال لأنه هو الذي يمكن الإيصاء به وتقسيمه على الوالدين والأقربين .

ويقول الله تعالى عن الإنسان : « وإنه لحب الخير لشديد » ، ويقول على لسان موسى عليه السلام : « إني لما أنزلت إلى من خير فقير » ، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الخير المقصود هنا في الآيتين هو المال .

وحين يكون المال وسيلة للخير يرغب الإسلام فيه ، ويحمد من يسعى إليه ، بل يوجب طلبه والضرب في الأرض من أجله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » . « وابتغ فيما آتاك الله الفار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وفي الحديث المأثور : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

وأما إنه شر فذلك حين يكون غاية في الحياة يقتل الناس عليه ويركبون الصعب والدلول في سبيله ، حين يكون شهوة تذلل لها أعناق الرجال ، وبهذا يكون بلاء على الناس وعلى الدولة وعلى الإنسانية : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

والقناطر المتقطرة من الذهب والفضة والحيل المسومة والأنعام والحراث . ذلك متاع الحياة الدنيا » .

٤ — وإذا كان المال وسيلة إلى الخير كان على الناس أن يسعوا في تحصيله ، فالفقر مرض من الأمراض الاجتماعية ليس قدراً من السماء يجب أن يخضع له الإنسان من غير أن يقابله بالسعى والعمل ، ولذلك جاء التعبير في الحديث عن الفقر بأروع ما يمكن أن يدل على نفرة الشريعة الإسلامية منه وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيز في دعائه من الفقر والجوع والعجز والكسل وغلبة الدين ، كما كان يستعيز من الصمم والبكم والجنون وسيء الأسقام أو ورد من دعائه عليه السلام « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » فانظر إلى أي مدى اتسعت آفاق الإسلام حتى اعتبر الفقر المحوج المذل لكرامة الإنسان قرين الكفر وزميله في بشاعة النتيجة وسوء الأثر ...

• — إذا كان الفقر مرضاً اجتماعياً وبلاء يستعاذ منه كما يستعاذ من الأمراض الجسيمة وجب على الإنسان أن يعمل بنفسه لتحصيل قوته ، وقد شرف الإسلام العمل واعتبره جهاداً ، وذلك حيث يقول القرآن الكريم : « فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « أفضل الكسب كسب الرجل من يده » « إن الله يحب العبد المحترف » ومهر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة برجل فرأى الصحابة من جده ونشاطه ما أعجبهم ، فقالوا يا رسول الله : لو كان هذا في سبيل الله ... فقال عليه السلام : « إن كان خرج يسعى على ولده فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يصفها فهو في سبيل الله » . وأجر العامل يجب أن يتكافأ مع عمله وإنتاجه ، فإن كان دون ذلك فهو ظلم والله لا يحب الظالمين « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » وقد تواعد الرسول عليه السلام من غمط العامل حقه فلم يعطه أجره الواجب له ، قال الله عز وجل : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكمل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

٦ — وإذا كان العمل واجباً وشرفاً وجهاداً كان من واجب الدولة أن تيسر وسائله للشعب فلا تسمع لقادر على العمل أن يكون عالة على المجتمع يعيش من صدقات الناس ، وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله شيئا من المال وهو قوى معافى فقال له الرسول : « أما في

بيتك شيء ؟ » قال : بلى ! جلس (كساء غليظ ممتن) نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء . قال « ائتني بهما » ، فأتاه بهما ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من يشتري هذين ؟ » قال رجل أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يزيد على درهم ؟ » (مرتين أو ثلاثاً) قال رجل أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتني به » ، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده (أى بيد القدم) ، ثم قال : « اذهب فاحتطب وبيع ولا أرينك خمسة عشر يوما » ، ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث : لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مفظع ، أو لذي دم موجع » . فأنت ترى أن الرسول لم يعتبر من عنده درهمان وهو قادر على العمل فقيرا يصح أن يكون عالة على المجتمع ، كما ترى أن الرسول وهو رئيس الدولة قد أوجد بنفسه عملا لرجل عاطل عن العمل . . . وليس هذا إلا إيجابا على الدولة أن تؤمن وسائل العمل لأبناء شعبها .

٧ — كل طريق للسعى وجمع المال حلال إلا ما كان عن طريقين اثنين : (١) الظلم (٢) الغش . فلا يباح جمع المال عن طريقهما ، وبذلك حرم الإسلام الربا والقمار ، والاحتكار والنصب والسرقة وما أشبهها لأنها ظلم ، كما حرم التفرير والربح الفاحش وإخفاء العيب في السلعة ، والكذب في رأس المال وغير ذلك من البيوع المحرمة لأنها غش .

٨ — هذا المال الذي يجمعه بالسعى والعمل أمانة في يده ، فمالكه الحقيقي هو الله ، جعله في يده ليستعمله في منفعة ومنفعة الناس « وسخره » له ليكون خادماً مذللاً للإنسان ، ومن يعيش معه في جوار أو بلد أو وطن أو دنيا : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ، « وأمددناكم بأموال وبنين » فكما أن الولد أمانة في يد أبيه لا يملك منه نفسه ولا جسمه وإنما يملك منفعته وحسن استعماله في الخير ، كذلك الأموال أمانة في أيدي الناس لا يملكون منها إلا تيسير المنافع وحسن استعمالها في وجوه الخير .

نعم قد ورد في القرآن إضافة الأموال إلى الناس وذلك ؛ في مثل قوله تعالى : « وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » فهذه إضافة اختصاص بالنسبة إلى العرف

والظاهر ، فمن حاز المال كان في عرف الناس مال كاله . . . أما في الحقيقة فیده يد أمانة ، والمملك لله وحده لا شريك له .

٩ — إذا كان المال وسيلة للخير ، والمالك الحقيقي له هو الله ، والإنسان مؤتمناً عليه ینفقه فيما ینفقه ویبفع الناس ، كان الإنسان بالنسبة لما فی یده من الأموال كالموظف بالنسبة إلى ما فی یده من مال الدولة ، لا یجوز له أن یجور علی الشعب لیملا خزانة الدولة ، ولا أن یجور علی الدولة لیملا جیوب الناس ، وكذلك الإنسان لا یجوز له أن ینخل علی نفسه فیجرمها ما تحتاج إلیه من أكل ولباس ونفقة ، ولا أن یسرف فی الإنفاق فیدد المال علی لذاته وشهواته ، بل یجب علیه أن ینفق بالمعروف لا سرف ولا تقتیر « کلاوا واثربوا ولا تسرقوا » ، « ولا تجعل یدک مغلولة إلى عنقک ولا تبسطها کل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » وهكذا یقرر الإسلام بأجلی بیان : « أن المملك وظيفة اجتماعية » .

١٠ — وإذا كان المملك وظيفة اجتماعية كان التبذیر والترف محل نقمة الإسلام وكرهه ، لما ینشأ عن ذلك من تفاوت بین طبقات المجتمع ، تفاوتاً یثیر الکراهية والحقد فی نفوس اللدین لا یجدون سعة من المال ، ینفقون ویتنعمون ، ولما ینشأ عن ذلك من فساد أخلاق المترفین وإشاعة الفاحشة والفساد فی المجتمع ؛ وما تزال الطبقة المترفة فی کل أمة تمبعث التحلل الخلقی وحجر عثرة فی سبیل کل دعوة إصلاحية تتوخى إنقاذ المجتمع من بؤسه وأنحطاطه وتأخره . . . وقد تحدث القرآن عن هذه الطبقة — طبقة المترفین المسرفین — بما یشیر النعمة علیها ویدل علی مزید کراهيته لها ، فهو یحبر أنها عدوة لكل إصلاح ، محاربة لكل نبي وداعية ومصلح ، تعتمد فی محاربتها للإصلاح علی أموالها وأعوانها : « وما أرسلنا فی قرية من نذیر إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به کافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبین » ویصف المترفین بالظالمین وبالجرمین : « وأتبع اللدین ظلموا ما أترفوا فیهِ وكانوا مجرمین » ویحدث عنهم بأنهم سبب هلاك الأمة ومبعث خراب الدیار والأوطان : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسقوا فیها فحق علیها القول فدمرناها تدمیراً » ویصف ما أعد لها فی الآخرة من عذاب أليم : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فی سموم وحیم ، وظل من یحموم ، لا یبارد ولا کریم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفین » وأخيراً فهو ینهانا عن إطاعتهم لأنهم مفسدون فی الأرض : « ولا تطیعوا أمرا المسرفین اللدین یفعدون فی الأرض ولا یصلحون » .

التفاهوت في الإنزاف

للأستاذ الدكتور محمد صالح « رحمه الله »

الوكيل السابق لجامعة القاهرة

(٢)

[قلنا في تقديم هذا المقال في العدد قبل الماضي إن هذا هو آخر ما كتبه الأستاذ الفاضل رحمه الله ، وقد تأخر نشره فتحدث الأستاذ إلى رئيس التحرير قبل أن يلقى ربه بأيام مذكرا بإياه بالمقال ، وقال في حديثه إنه أراد أن يسوق هذا البحث كتفسير علمي لقول الله عز وجل « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » وهوذا البحث تقرأه بعد أن غاب كاتبه ، جزاه الله خيراً وأكرم مثواه] « التحرير »

تقسيم الطبقات العاملة :

تنقسم الطبقات العاملة إلى خمس طبقات لا يوجد بينها حدود فاصلة ، بل هي متداخلة بعضها في بعض ولكنها يمكن تمييزها إلى حد نستطيع معه أن نبين الشيء الكثير من العلاقات القائمة بين الطبقات الاجتماعية والأسباب الرئيسية المؤثرة في التوزيع وفي القيمة .

١ — طبقة الفعلة : وهم طائفة العمال الذين يعملون مياومة ويشغلون في الحفر ونقل الأتربة والحجارة ولا تقدم هذه الطائفة سوى قوتها الجثمانية ويوجد في داخل هذه الطبقة من يستطيع ويرغب في العمل المستمر تسع ساعات أو أكثر . . . وهذه القوة وتلك الرغبة لا تتوفران في كل العمال ، بل ولا في كل الشعوب . . . والعمل بهذه الكيفية مستطاع لكل شاب ولا يحتاج هذا النوع من العمل إلى تعليم أو تدريب ، وأقصى ما يستولى عليه هذا العامل من الأجر يكون عندما تتكامل رجولته ثم تأخذ الأجرة في النقصان عندما تضعف قواه الجثمانية .

ويدخل في عداد هذه الطائفة عمال المصانع الذين يقومون بالأعمال الشاقة . . . وتحتاج الزراعة إلى هذا النوع من العمال للحصاد وغيره .

٢ — طبقة العمال التي لا تحتاج إلى مهارة فائقة لكنها تتحمل نوعاً من المسؤولية :

ويجب أن يتوافر فيها حضور الدهن والليقظة كعمال المناجم وعمال النقل بالسيارات .

٣ — طبقة العمال المدربين : وينتمى إليها النجار والبناء والميكانيكي وغيرهم وهي الصناعات التي تحتاج إلى عين واثقة واعتياد على الآلات ، ويد ماهرة مدربة . وقد أغنى استعمال الآلات عن استخدام عدد كبير من العمال اليدويين المدربين . أضف إلى هذا أن استعمال الآلات استدعى استخدام طبقة كبيرة من العمال القادرين على صنع الآلات وإصلاحها حتى صار الطلب على العمال الميكانيكيين الأكفاء يتزايد تدريجاً . وقد يستطيع هذا الفريق من العمال أن يكون ثروة وأن يتحمل إلى حد ما نفقة أولاده في المدارس .

٤ — الطبقة الوسطى الدنيا : وهي التي تقرب من الطبقة المتوسطة وتستنفك من العمل الحثير وتصبو إلى الأعمال الكتابية وشبه العقلية كالكتاب والمحاسبين وصغار التجار وسائقي القطارات والملاحظين والمدرسين في المدارس الأولية وتستطيع هذه الطبقة أن تتابع تربية أولادها إلى مراتب التعليم كما أن هذه الطبقة تحاول أن تدخر شيئاً من دخلها ، وتشعر هذه الطبقة بما في العمل اليدوي المدرب وغير المدرب من المهانة والمذلة وتضع حداً فاصلاً بينها وبين طبقة العمال المدربين لا يتفق مع اختلاف الجزاء ؛ لأن الجزاء الذي تحصل عليه هذه الطائفة لا يختلف عن الجزاء الذي تحصل عليه طبقة العمال المدربين .

٥ — الطبقة العليا : وهي التي تعتبر نفسها أعلى طبقة وهي بلا شك أكثر الطبقات مزايا ويدخل في عدادها المحامون والأطباء والمدرسون في مراحل التعليم العليا ، والموظفون العموميون المتحملون لمسئوليات والمنتفعون بسلطة ، ورجال الأعمال ومديرو الشركات . وهذه الطبقة لا تقنع بكسب ما يسد الرمق بل تتناول آمالها إلى ادخار المال وتكوين ثروة ، وتستطيع هذه الطبقة أن تذهب في تعليم أبنائها إلى أقصى مراحل التعليم في المدارس العالية والجامعات . ولا تبدأ هذه الطبقة في الكسب الصحيح إلا متأخرة ، إذ يتعين عليها أن تقضى فترة طويلة في المزارع والتعليم ويبدأ كسبها ضعيفاً لكنها تتوقع المكاسب العظيمة في منتصف العمر ولا تقدم على الزواج إلا في وقت لا تتوافر فيه السعادة الزوجية فيتخذون الزواج زينة .

وتكون الطبقتان الأولى والثانية طبقة قائمة بذاتها ، لا لأن أجورهما متداخلة بل لأنهما يعتقدان آراء متماثلة ويصبوان إلى غرض واحد وأفرادهما لا يتوقعون أكثر من أن تكون أجورهم كافية لسد رمقهم ولا يصبون إلى جمع المال وتأثلي العقار

أو إلى الحصول على دخل من ثرة مملوكة لهم ، وتشعر باعتمادها على العمل اليدوى كما أنها تشعر بانفصالها عن الطبقات الأخرى وقد تقترب منهما الطبقة الثالثة .

أما الطبقتان الرابعة والخامسة فهما يستشعران التضامن سويا ومع أن دخولهما متفاوتة إلا أن آمالهما واحدة وآراءهما متشابهة ويشتراك في الشعور بأن العمل اليدوى تحت أقدامهما . . . وتدلل ملابسهما على بعدهما عنه وأنها في غنية عنه ، وتتوجه مطامعهما إلى أن يدخلوا في عداد طبقة المترفين .

لذلك نستطيع أن نقسم العمال إلى فريقين ، فريق اليد الناعمة ، وفريق اليد الحسنة . . . أما الفريق الذى لا يعمل مطلقاً أى ملاك الأموال التى تعطى دخلاً ، فهو يكون من الوجهة الاقتصادية البحتة ، فريقاً قائماً بذاته ، لأن دخله لا يحتسب في عداد الأجور فى أية صورة كانت ولكنه يعتبر فائدة أو ربحاً أو رباحاً احتكارية . لكن هذا الفريق يعتبر بوجه عام داخل في نطاق أعلى طبقة إجتماعية فيشارك في تقاليدهم وترابطهم روابط المصاهرة . .

زرال الموانع الاجتماعية : أخذت الموانع القائمة بين الطبقات في التداعى والانهار في المجتمعات الحديثة وبخاصة في المجتمعات الديمقراطية وأصبح التنقل من طبقة إلى أخرى يسيراً . وهالك بيان كيفية تأثير هذه التغيرات في أدنى الطبقات وهى طبقة الفعلة : وجد دائماً في غابر الأزمان كما يوجد الآن نوع من العمل الشاق القدر يتعين أداؤه مثل حفر الترع وإقامة الجسور والسكك الحديدية والأعمال الزراعية البسيطة كاللحصاد وغيره . . وقد توجهت دائماً رغبة الأقوياء والممتازين إلى إيجاد فريق من الناس للقيام بهذا العمل مما أفضى إلى الرقيق في العصور القديمة والقيانة في العصور الوسطى ويقوم بهذا العمل في الزمن الحاضر العمال غير المدربين . . وفي بعض البلدان كأمريكا يقوم به الزنوج وفي جنوب أفريقيا يقوم به الصينيون والهنود وهذه الأعمال لا تحتاج إلا إلى قوة جثمانية وهم رقيق المجتمع الذى يعيشون فيه . وبالنسبة لهذا الفريق لا يكون عدم جاذبية العمل أو قذارته سبباً لارتفاع الأجور بل العكس هو الصحيح إذ أن أشق الأعمال وأقذرها وأقلها جاذبية تجزى أقل جزاء .

وترجع قلة أجور هذه الطائفة إلى أن أفراداً كثيرين لا يستطيعون القيام إلا بهذا العمل ولا يقدرّون على ما عداه مما يترتب عليه هبوط أجورهم ، وهم كذلك محرومون من شق طريقهم إلى طبقة اجتماعية أعلى بسبب عوائق البيئة وانعدام التعليم والتجرد من الكفاية الطبيعية .

وكما زالت هذه العوائق أو ضعفت صار في الإمكان خروجها من هذه الطبقة الدنيا والالتحاق بالطبقة التي تفوقها في المرتبة والاتجاه نحو تساوى الأجور . . وهذه الحركة التي يراد بها الهروب من طبقة إلى أخرى أعلى منها ، قوية في الولايات المتحدة حيث لا أثر فيها للميزات الاجتماعية وحيث تسود الحرية ويتوافر العلم في المدارس العامة وقد حطم كل هذا التخوم القائمة بين الطبقات . لكن المهاجرين من الوافدين يحتلون دائماً المراکز التي تخلو في الطبقات الدنيا ولذلك بقيت دائماً أجور هذه الطبقة قليلة ، وأوضحت بجلاء الفاصل الاجتماعي بين هذه الطبقة وغيرها .

ويرى بعض الناس أن أجور هذه الطبقة وهى أقل من أجور بقية العمال جزء من نظام الطبيعة . وهى حالة تبعت على الأسى ١١١

وحرية اختيار العمل من أهم شروط السعادة وليس للعملة العاديين حرية الاختيار فهى معدومة بالنسبة لهم .

وانتشار التعليم وكسر قيود البيئة التي تمسكن الطبقات من الترقى كان لها أثر في علاقات الطبقات الأخرى . فالكتاب وصغار التجار وأشباههم كانوا في مأمن من المنافسة وظلوا في حالة ممتازة بسبب صعوبة التعليم الذي تقتضيه أعمالهم . وقد غير التعليم الإلزامى كل هذا . وزاد عدد الأفراد القادرين على القيام بهذه الأعمال مما قد ترتب عليه اتجاه أمورهم نحو الهبوط إذ أن أجرة الميكانيكى الصانع أعلى من أجر الكاتب فإن الإقبال على المهن الكتابية ما زال كبيراً . . . ويعزى هذا إلى اشتراكها في إدارة الأعمال وإلى احتمال الترقى إلى وظائف الإدارة والرياسة . . ولو أن هذا الأمل قد لا يتحقق دائماً ، كما أنه يعزى إلى الكراهية التقليدية للعمل اليدوى محاكاة لطبقة المترفين الذين يستولون على ريع بلا عمل . . . وهذا الشعور المتفق عليه وغير المعقول نحو العمل القدر لابد أن يزول ولا بد أن يأتى وقت تكون فيه آراء الناس الاجتماعية متمشية مع قوة الكسب . وكل حرفة يجزى محترفها جزاء حسناً لابد أن تكون موضع الاحترام في النهاية .

لكن تغيرات المراتب الاجتماعية المصطلح عليها لا تقع إلا ببطء ، ومبلغ الاحترام والكرامة التي تتمتع بها مهنة معينة من أقوى أسباب تهافت الناس عليها ومعظم هذا التهافت كلما جلبت هذه الحرفة معها المكانة الاجتماعية .

والآن ما هو مدى اختلاف الأجور ، وإلى أى حد تظل الطبقات الاجتماعية موجودة إذا أتيحت فرص واحدة لكل فرد وكان اختيار الحرفة حاصلًا بحرية تامة ؟؟

سجّات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

تأريخ الحوادث والناس

يقال إن التاريخ لا يجوز أن يكتب إلا بعد مدة من وقوع الوقائع وموت الرجال حتى تخلص النفس من أثر الحادثات وتنجو من المصيبات ، وتستطيع أن تنظر إلى الأمور غير راضية ولا غاضبة ولا فرحة ولا مبتئسة . وحق تكتب عن رجال بعيدة من الحب والبغض ، والمحابة والظلم ، بريئة من الأهواء التي تورثها المعاصرة والمشاركة في العيشة والمنافسة .

وهذا مقبول من هذه الوجهة ولكنه مردود بما يضيع على غير المعاصر من دقات الحوادث ومن ألوان الوقائع ، وما يفسرها من أحوال الزمان والمكان والناس ، وصلات بعضهم ببعض .

وأحسب أن كتابة التاريخ المعاصر مرهقة منفرة بكثرة حوادثها ووفرة مصادرها ، على حين يكتب مؤرخ العصور القديمة بكلمة يفسح عليها وهما ودمية يلبسها خيالاً ، ويكتفى مؤرخ العصور التي بعدها بنجر يحمله ما لا يحمل ، وخطبة أو قصيدة يستدل بها على أكثر مما تدل عليه ، حين يخلص من رقابة الحقائق ، أو شهادة الوقائع .

ولاريب أن تسجل التاريخ قبل أن تبعد حوادثه ، وتطمس معالمه ، أقرب إلى الحق إن أراد الكاتب التاريخ محضاً ، لا مدح جماعة أو آحاد ، وذم فئة أو أفراد . وإن قيل إن النفس المعاصرة لا تبرأ من الهوى ، قلنا إنها على هذا أقرب إلى التثبت وأقدر على التحقيق ممن يأتي بعد أجيال ليستقصي الأفعال والأقوال .

مر الزمان

نشأت أرى حولى في قريق شباناً وكهولاً وشيوخاً . ودارت السنون دورات فإذا الشيوخ قد وردوا المنية كلهم ، وإذا الكهول يتهافتون عليها ، وإذا الشبان قد أخذوا مكان الكهول والشيوخ . وإذا نشء جديد لا أعرفهم صاروا رجال القرية ، وخرجت

من مدرستى ثم نظرت بعد خمسة عشر عاماً أو قريب منها فإذا أساتذتى قد تابَعوا إلى الموت إلا قليلاً قليلاً ، وبعد عشرين عاماً فكرت فإذا كثير من الأتراب هُؤُوا .
وجُئْتُ في أحياء من القاهرة غبت عنها سنين فإذا العالم تغيرت والطرق تنكرت ؛
قامت دور وهدمت دور ، ورحلت أسر وقدمت أسر ، واهجى عرف وانشأ آخر .
وهكذا دور الزمان ، وبطش الحدثان ، لا استقرار ولا دوام ، وهكذا تقلب الدهر وتحول الأحوال ، لا ثبات ولا بقاء .
فاستمسك ما استطعت بالمعاني الخالدة التى لا تتغير والقوانين السائرة التى لا تتبدل .
استمسك بالحق والعدل ، والخير والجمال ؛ بل استمسك بالله الحق الذى لا يحول ولا يزول .

إرضاء الجماهير

دار الحديث فى مجلس حول الأفلام المصرية : تفاهة أكثرها وبذاءتها وصماحتها ، وخلوها من فائدة للعقل أو الخلق . وقد قيل إن أصحاب الملاهى تقلوا الرقص والغناء الغث من الأمكنة الضيقة التى يشهدها قليل من الناس إلى أفلام تعرض فى كل مكان وتكرر كل حين ، وتمادى المتحدثون حتى قال أحدهم : إن الأفلام التى تعرض مناظر طبيعية أو تصور حياة الحيوان فى الغابات أو جانباً من معيشة الجد والكد أو تصور تبين التاريخ الصحيح لا ترضى الجمهور . وأصحاب الملاهى ومصورو الأفلام همهم الأول جذب الناس وتعلق الجماهير ، وتحصيل المال والصيت .

قلت هذا أصل الداء السارى فى أدبنا وصحفنا وأفلامنا ومسارحنا . الأديب والصحفى وصاحب السينما ينفى الجاه والمال ، ووسيلتهما كثرة المتمتعين بما يحدثون . والدعاه فى كل أمة أغلب ، والسواد أكثر ، والعامه أملاك ؛ فليكتب الكتاب ما يرضى الجمهور ولينزلوا إليه . وليتملق الصحفيون العامة ويستكثروا منهم ، وليعرض أصحاب الأفلام ما يدر المال بازدهام النظارة ، وإنما أعنى العامة أخلاقاً وعقولا وإن كانوا من الأغنياء أو تسموا بالعلماء وحينئذ يكون الجمهور أو الدعاه أو السواد أو العامة أو ما شئت من هذه الأسماء قائمة لا مقودة وسائدة لا مسودة .

وحسب الأمة فساداً أن يؤمها عامتها ، وأن تقاد بأذنانها . إن الخطوة المثلى أن ينزل الكتاب ومن إليهم إلى الجمهور قليلاً ليرفعوه إليهم كثيراً ، وليقاربوه ليقودوه . ولعن الله المال والجاه أن جعل الأفلام فى خدمة العوام ، وصير الرعاة أتباع السوام .

ثاقب

تعلب على مقال

« نهاية الخلافة العثمانية »

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

حضرة الأخ المحترم الأستاذ سعيد رمضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد اطلعت في العدد السابع من السنة الثانية على مقال قيم عن نهاية الخلافة العثمانية لحضرة الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ، واستوقف نظري ما حرص الكاتب الفاضل على توكيده من ضرورة التكتل لمواجهة الضغط الغربي الجائر ، وإنها لدعوة مبصرة تستهدف الخير للأمة الإسلامية وللشرق جميعا ، ومن حق القائلين بها أن نستمع لهم وأن نعمل على تلبية النداء .

غير أنه في سياق الحديث جاءت كلمة عابرة عن جزيرة قبرص ، ومر بها الكاتب الفاضل مرأ سريعا في متابعته للفكرة الأصلية التي يعالجها ، فقال حضرته ما نصه : « وفي عهده أخذ الانجليز قبرص ، أخذوها هدية منه في عام ١٨٧٨ » وكان مناط البحث تعداد بعض المآخذ على سياسة عبد الحميد وما جنته هذه السياسة على الدولة العثمانية وعلى المسلمين . وهكذا يخرج القارئ بفكرة محددة تلخص في أن عبد الحميد قد وهب الجزيرة أو تنازل عنها طواعية واختيارا ، لغاية في نفسه أو سفاهة منه ، ولا نزاع في أن الكاتب الفاضل لم يقصد إلى شيء من ذلك ، بل قصد إلى التهم من غلاة المستعمرين من البريطان الذين عادوا بالهدية من مؤتمر برلين فوجدوا في بلادهم من يطلب المزيد من هذه الهدايا ، كما وجدوا من يعارض في عناد وإصرار وينذر بخطورة جمع الهدايا بهذه الطريقة .

وإذا كان دزرائيلي قد قدم لبلاد جزيرة قبرص هدية من غنم سياسته الاستعمارية الغالية ، فإن المحايدين ، فضلا عن الشرقيين ، قد اختاروا لواقعة الإهداء تسمية أخرى ، فقالوا بأن إنجلترا قد اختطفَت قبرص .

ولست بصدد الدفاع عن السلطان عبد الحميد ، فما فكرت في شيء من ذلك ، ولكنني بصدد تعقب الاستعمار أينما ظهرت آثاره ، وإن الظروف التي اختطفَت فيها إنجلترا جزيرة قبرص لتستوقف النظر حقا . . . ، وفيما يلي بيان موجز عن اغتصاب إنجلترا لهذه الجزيرة .

هنا في مصر ، وفي حى شبرا ، نشأ فتى يهودى يدعى بنيامين دزرائيلي ، وكان داهية بطبيعته ، كما كانت نشأته في مصر سبباً في اطلاعه على دقائق الحال في الشرق ، في وقت نحاذلت فيه الأمم الشرقية وتأخرت اقتصادياً . وقد ترقى هذا الفتى بعد هجرته إلى إنجلترا حتى وصل عن طريق السياسة إلى رئاسة المحافظين ورئاسة مجلس الوزراء في بريطانيا ، وليس يعنيها من تاريخه إلا تلك الفترة الواقعة بين سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٨٠ فقد اكتسح منافسه جلاد ستون وفاز في الانتخابات في سنة ١٨٧٤ وعاد إلى رئاسة الوزارة ، وشهدت أوروبا بل وشهد العالم فترة لا تزيد على ست سنوات ، وقع فيها من الأحداث ما لا يزال الشرق يعاني آثاره إلى الآن .

في هذه الفترة بالذات وقع الرأى العام في بريطانيا تحت تأثير سياسات شديدة التعارض ، وكان أهمها اثنتين : الأولى سياسة معتدلة بعيدة النظر تدخل في حسابها ثمن التوسع الامبراطورى وما يفرضه على الدولة المستعمرة من غزو وحروب متجددة وما يخلفه من المشاكل مع سائر الدول الكبرى ذات الأطماع وبالتالي يكون الخير في الحد من هذا التوسع أو العدول عنه والاتجاه نحو الاستقرار في دائرة ضيقة ، وكان داعية هذه السياسة والقائم على تنفيذها كلما أتاحت له الفرصة جلاد ستون . وكانت السياسة الثانية متطرفة ، تدعو إلى ضم الأراضى والشعوب في دائرة كبرى شديدة المرونة تتسع لأفريقيا وآسيا وأستراليا ، كما تتسع لأية دولة أوروبية ينبغي إخضاعها لمقتضيات التوسع الامبراطورى رضاء أو كرها ، ومن الأمثلة على هذا الجزء الأخير من السياسة المتطرفة ما كان بعد ذلك من ندب بلجيكا لاستعمار بعض أراضى أفريقيا وما كان من سير فرنسا طويلاً في موكب البطلان الذى نظمته وتقدمته بريطانيا ، وما كان من الصدام المسلح بينها وبين ألمانيا في سبيل الاستعمار ، وكانت هذه السياسة تستهدف إيجاد وحدة اقتصادية هائلة تتعاون فيما بينها — كما يدعون — أو تحشد

بوساطتها الحيرات والطيبات للبلد المستعمر على حساب البلاد المستضعفة ، كما هو الواقع . وكانت عدة هذه السياسة الأخيرة الأسطول والسطو ، ثم التفرقة بين الأهالي بعد النزول في أراضيهم ، وكل ذلك من ناحية ، والمهارة الدبلوماسية من ناحية أخرى ، والمقصود بالمهارة هنا هو التحلل من جميع الضوابط الأخلاقية والقانونية التي تخضع لها التصرفات في أي مجتمع متحضر .

فلما ولي دزرائيلي الأمر سنة ١٨٧٤ لم يضيع وقته سدى ، فتولى ضم جزائر فيجي في جنوب الباسفيك ، وفي سنة ١٨٧٥ قام بدوره المشهور ، حين أعلن فرنسا بأن مشتراها لأسهم القناة من إسماعيل يعتبر عملاء عدياً ، وفي نفس الوقت حصل على المال في غيبة البرلمان الانجليزي وعاونه في ذلك بيت روثشيلد وأتم الصفقة في سرعة خاطفة وتعرض للنقد والتأييد جميعاً ولكنه أوجد البرلمان الانجليزي أمام الأمر الواقع ، وفي سنة ١٨٧٦ خلع على الملكة فكتوريا لقب أميرة الهند . وفي سنتي ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وصلت سياسته الجبارة إلى غايتها فعاون مع روسيا وألمانيا والنمسا على تمزيق الدولة العثمانية . وإنه لصراع هائل ذلك الذي أبداه عبد الحميد في مقاومته للذئاب التي تكاثرت عليه . . . قد يصح القول بأن عبد الحميد كان مستبداً ، وقد يقال بأنه أسكت الناصحين أو أزهم أرواحهم . قد يقال ذلك كله أو بعضه في مناسبه ، ولكن في معرض العلاقات الدولية يتعين علينا أن نذكر بأن عبد الحميد دافع وقاوم بقدر ما توافر لديه من قوة ومن حيلة .

ولي عبد الحميد في سنة ١٨٧٦ وحكم إلى سنة ١٩٠٨ ويعيننا في بحثنا هذا عن جزيرة قبرص أول عهده فقط ، لننظر فيما كانت عليه الحال في المسرح الأوروبي . ففي سنة ١٨٧٥ أي قبيل ارتقاء عبد الحميد لعرشه قام الامبراطور فرانسا جوزيف برحلة إلى دالماسيا وهناك استقبل رجال الكنيسة الكاثوليك في حشود هتفت به حامياً للمسيحية من المسلمين . واشتدت المؤامرات التي كانت تهدف إلى تمزيق الدولة العثمانية وطردها من أوروبا وخلق دويلات مسيحية في البلقان ، كما أن روسيا كانت تطمع في أملاك الدولة العثمانية في آسيا وفي المضائق بوجه خاص .

وفي سنة ١٨٧٥ أيضاً رمت إنجلترا سياستها النهائية حيال القناة حين اشترت حصه مصر من الأسهم ، فاشتدت عنايتها بشرق البحر الأبيض ومنطقة القناة ، وبالسياسة الروسية ، لأن روسيا كانت أخطر المنافسين للإمبراطورية البريطانية إذا هي عبرت مضائق البوسفور والدردنيل ، وطمعت في الوصول إلى الشرقين الأدنى والأقصى عن طريق القناة .

وفي سنة ١٨٧٦ تجدد السعى لتحرير أرمينيا وهي من الأملاك العثمانية في آسيا ، ولخلق صربيا الكبرى وغيرها من دويلات البلقان ، تخطوات أولية في سبيل تحرير جنوب شرق أوروبا من يبر المسلمين ، ولا يتأتى ذلك إلا بتفتيت الدولة العثمانية . . . في هذا الجو إذن ولي عبد الحميد عرش آل عثمان ، فما كاد يبدأ حكمه حتى كانت القوى الكبرى في أوروبا وهي إنجلترا والمانيا وروسيا (وقد تلحق بها النمسا) قد تفاهمت على مبدأ الاجهاز على الرجل المريض ، وإن اختلفت فيما بينها على توزيع الأسلاب . وإن الناظر في الوثائق الدبلوماسية وتعليقات بعض الدول المحايدة (في هذه الفترة) كأمريكا مثلا ليلمس جرائم الاستعمار الغربي في عهد دزرائيلي على صورة لا تدع للباحث فرصة لاتهم ولاه الشرق ، الذين تحكم الغرب في مصائرهم ، لأسباب بعضها كان خارجا بالفعل عن طاقتهم . من ذلك مثلا سبق الدول الأوروبية إلى تسخير البخار والكهرباء والزيوت في التصنيع وفي المواصلات ، وفي السلاح والعتاد مما أوجد التفاوت الشديد في القوة المادية بين الغرب والشرق .

وكانت المؤامرة الكبرى في سنة ١٨٧٧ حين دفعت إنجلترا روسيا لمحاربة تركيا ، وقد مرت هذه الحرب بأدوار هامة ، وتعرضت في خلالها وزارة دزرائيلي لأزمات شديدة كلما قرب الزحف الروسى من المضائق . . .

وفي صيف سنة ١٨٧٨ وجدت الدول الأوروبية الكبرى أنه لا بد من مؤتمر تقتسم فيه الأسلاب ، فكان مؤتمر برلين ، ولأهميته شهده دزرائيلي بشخصه ، وإلى هذا أشار بعض المؤرخين في العلاقات الدبلوماسية ، واستخلصوا المعانى .

ذهب دزرائيلي إذن إلى برلين وحضر المؤتمر ، وكان قد دخل من قبل اتفاقات سرية بين إنجلترا وروسيا على عزل بلغاريا عن القسطنطينية والإبقاء بها وراء الخطوط الاستراتيجية للبلقان عند تنظيمه للاجهاز على الدولة العثمانية ، واتفاق سرى مع روسيا أيضا تتعهد فيه إنجلترا بتمكينها من منافع أخرى تحصل عليها من أسلاب الدول العثمانية . واتفاق سرى مع تركيا تلتزم فيه إنجلترا بدفع عدوان الروس عن ممتلكات تركيا في آسيا ، وفي مقابل هذا الالتزام طلبت إنجلترا احتلال قبرص مؤقتا ليتسنى لها القيام بما التزمت به . . .

واتفاق سرى آخر بين إنجلترا والنمسا لتنسيق سياسة الدولتين وتأمين الأخيرة على أطماعها في البوسنة والهرسك . . .

بهذه الاتفاقات السرية دخل دزرائيلي مؤتمر برلين في ١٣ يونية سنة ١٨٧٨ ، وقد ترأس الجلسات بسمارك ، الذى أراد أن يأمن معارضة فرنسا فأشار عليها — ووافقت

بريطانيا — يأخذ تونس وكان من قبل قد وعد إيطاليا بها سرا ، وقد أراد السياسي الألماني الداهية ، أن يوقع بين فرنسا وإيطاليا لتصرف الأولى عنه ، وقد كان النزاع بينهما في الحرب السبعينية منذرا بالعودة إلى الصدام المسلح ، وقد وقع بعد ذلك بالفعل ، أكثر من مرة .

وفيما يختص بجزيرة قبرص نورد بعض التفاصيل : تقدمت بريطانيا في ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ بمذكرة إلى تركيا ، وطلبت بموجبها الإذن لها باحتلال الجزيرة بقواتها العسكرية ، وشغعت المذكرة بتوقيت القبول في خلال ٤٨ ساعة أي أنها كانت إنذارا نهائيا ، فوقع السلطان عبد الحميد فرمان المطلوب ، ثم عدل عن نشره . فهو من الناحية القانونية كأن لم يكن ، ولكن الانجليز احتلوا الجزيرة في ٦ يونيو مؤقتا نعم مؤقتا بدليل بقائهم فيها إلى الآن ، وقد قررت إنجلترا في وثائقها وبلسان سياستها ونوابها أن الاحتلال المذكور كان مقررأ في سياسة المحافظين برئاسة دزرائيلي بصرف النظر عما إذا كان السلطان يوقع فرمان المطلوب أم يرفض ، وبصرف النظر عما إذا كان النشر يعقب التوقيع أم يعدل السلطان عن استيفاء إجراءات التوثيق والنشر .

على أن إنجلترا لم تقف في الأزمة الروسية التركية عند حد التصميم على احتلال قبرص ، بل طلبت مراراً في أواخر سنة ١٨٧٧ وفي أوائل سنة ١٨٧٨ احتلال المضائق ، أو إرساء أسطولها في مداخلها لتكون أسبق إلى الهيمنة على مدخل البحر الأسود فيما إذا وصل الزحف الروسي إلى القسطنطينية . وقاوم عبد الحميد مرة بعد مرة ، في عناد وإصرار ، ورغم ذلك وصل الأسطول مرتين ولولا اشتداد الخلاف فيما بين أعضاء وزارة دزرائيلي ، لأقام الأسطول في البواغيز ، ولتعرضت إنجلترا لصراع مسلح مع القيصر ، ولم تكن السياسة البريطانية بالغة حد التصميم في هذا الخصوص ، ومن أجل ذلك فقط تراجعت إنجلترا ، ورضيت باقتسام الأسلاب مع العصبة اللثام ، في مؤتمر يضمهم جميعا ، وبالتالي لم يكن عدول إنجلترا عن احتلال القسطنطينية أو البواغيز راجعا إلى احتجاج السلطان العثماني ورفضه .

وكذلك لم تكن مسألة احتلال قبرص محل مفاوضة جدية مع السلطان ، ولكنها كانت جزئية من سياسة عامة ، أو كانت أداة في جهاز ضخم بناه الاستعمار في القرن الماضي ، بالتدبير والمؤامرات في النصف الأول ، وبالتنفيذ تباعا — مع المؤامرات دائما — في النصف الثاني .

ويهمنى أن أنبه إلى السبب التاريخي الذي ميز النصف الأول من القرن التاسع عشر عن النصف الثاني منه : ذلك أن البخار كان قد دخل في تسيير السفن في أواسط القرن الماضي ، ثم أخذت الأساطيل التجارية والحربية تتحول بالتدريج ، وبأقصى سرعة يسمح بها استهلاك رؤوس الاموال المجمدة في هذه القطع من الشراع إلى السير بالآلات البخارية ، ثم آلات الاحتراق الداخلي - الديزل - التي تستخدم الزيت كوقود . وقد بنت بريطانيا امبراطوريتها بالتفوق في البحر وبالسبق إلى مصادر الخامات وإلى الأسواق . وبالتالي عنيت باغتصاب الجزر وتحويلها إلى قلاع عائمة في وسط البحر أو المحيط ، وعنيت كذلك بالممرات المائية أو المضائق . ونحن هنا في الشرق يعيننا أن نفسر تصرفات إنجلترا في ضوء تاريخها ونواياها التي أسفرت عنها هذه التصرفات .

فمثلا كانت تقوية جزيرة مالطة في سنة ١٨٦٤ بسبب ما اتضح في ذلك الوقت من احتمال نجاح دي لسبس في إنجاز مشروع القناة بعد أن تعثر من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٦٤ . وكان اغتصاب جزيرة قبرص في سنة ١٨٧٨ داخلا في نطاق الخطة الاستراتيجية لتأمين الدفاع عن شرق البحر الأبيض وعن القناة . . . تلك القناة التي لم تسكن بريطانيا قد احتلتها بعد ، ثم كانت سنة ١٨٨٢ وكانت أحداثها مرسومة كذلك ، وعمدت إنجلترا بعد ذلك إلى سحب جيشنا من السودان وإعادة الفتح بجيشنا أيضاً ولكن تحت قيادة الإنجليز . . . وأخيراً مهدت إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية للولايات المتحدة أن تنشر نفوذها في شمال أفريقيا من غرب مصر بعد أن كانت إيطاليا تحتل ليبيا إلى حرب ٣٩ / ١٩٤٥ ، والمفروض أن الولايات المتحدة حليفة لانجلترا . . . ؛ وبهذه الخطوة الأخيرة تم تطويق منطقة القناة . . . هذا هو الطوق الذي جاهدت إنجلترا مائة عام لضربه حول برزخ السويس من تاريخ تطلع جماعة سان سي مونيان من الرهبان ووكيلهم دي لسبس إلى هذا البرزخ لتنفيذ مشروعهم الصليبي الموروث عن القرن الثالث عشر ، واصل أخطر حلقة أضيفت لهذه السلسلة ذلك المسخ المسمى بإسرائيل ، إسرائيل التي يصلى من أجلها تشرشل ويريد أن يراها منتشرة في أرض الشام العثمانية سابقاً كيفما كانت تسمياتها الآن ، وفي أرض سيناء التي نصر إصراراً عجيباً على نسيانها ، وأخيراً في منطقة القناة .

هذه هي أخطر الحلقات التي اهتمدى إليها شياطين الاستعمار ، إذ أراهم يهدفون إلى إنشاء دولة يهودية في نفس المنطقة التي أوصى قواد الحروب الصليبية باقتطاعها من أراضي المسلمين وهذا ما تنطق به وثائقهم من القرن الثالث عشر للآن ، ويريد

للمستعمرون أن يستخفوا وراء اليهود لإنفاذ سياستهم ، دون إغضاب العرب ، طمعاً في
البتول وفي المواد الخام وفي الأسواق . . .

يخلص مما تقدم أنه حين يقال بأن إنجلترا زلت في قبرص في سنة ١٨٧٨ بدعوة
من أصحابها ، أو من الدولة العثمانية أو زلات مستأجرة كالمشفع بالأرض والعقار ،
أو أعيرت لها ، أو قيل بأن إنجلترا قد حلت بديار قبرص كما تحل النوازل الواقعة
والكوارث الداهية . . . فإن معنى واحداً ينبغي أن يتعكس في ذهن القارئ . . . مهمة
اختلفت الصيغ ، هذا المعنى هو تطوير القناة بسلسلة إحدى حلقاتها جزيرة قبرص . . .
هذا إذا كان في الوقائع التاريخية خلاف أو غموض ، أما الوثائق الدبلوماسية
وفيرة ومنتشرة ، فإن إنجلترا لا تستطيع أن تغالط الشرق أبداً ، والحق أنه لم يؤذن
لها باختطاف قبرص كما لم يؤذن لها بضرب الإسكندرية والتهام وادي النيل .

وبعد ، فإنني شاكر لأستاذنا الدكتور الرئيس ما أتاح من فرصة لمواطن ، أن يبين
رأيه في قراءة التاريخ ، قراءة عادية دون تخصص ، وإنما بنيتة الكشف عن حقيقة
نوايا الغرب فيما اقترفه من آثام ، وفيما يضره من النوايا حيال الشرق ، تلك النوايا
التي تبدت إلى الآن ، فإذا بالمستعمرين في يومنا هذا يريدون من القرن العشرين أن
يكون صورة من سابقه ، أو يريدون من الأفلاك أن تكف عن الدوران .
ولكنهم في ضلال من غير شك ، لأن بقطة الشرق حقيقة واقعة لا يجدي معها
مراء أو محال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

وهذه كلمة من السيد جاسم محمد من بغداد :

إطلعت في العدد السادس من السنة الثانية لـ « السلون » كلمة صادرة عن دار
التقريب موجهة للدكتور السباعي وقد أثارت الكلمة في نفوسنا سؤالاً وهو : لم كان
مركز دار التقريب القاهرة ؟ وبين من تقرب ؟ لماذا لا تأتي فتتخذ مقرها بغداد حيث
الطاغية ومحركوا الفتنة من أدياء العلم ؟

فهل القاهرة فيها أمثال هذا الكلام السموم فتحتاج إلى تقرب أم إن العراق هو
موطن التخريب فيحتاج إلى تقرب ؟

إننا نطالب أهل دار التقريب إن كان قصدكم حقاً التقريب أن يأتوا إلى العراق
لأن يقيموا في مصر حيث لا حاجة إليهم ولا معنى لنشاطهم إن كان لهم نشاط .

وهذه رسالة رقيقة من سماحة الأستاذ عبد الله كنون عالم طنجة :

« قرأت خاطرة شامبليون البليغة للأخ العزيز الداعية الكبير الأستاذ سعيد رمضان في عدد (المسلمون) الخامس فتذكرت أياتاً كنت قلتها في حادثة المنطاد الانجليزي (ر ٢٠١) الذي احترق بفرنسا في ٥ اكتوبر ١٩٣٠ وهو في طريقه إلى الهند وكان من ركابه وزير الطيران البريطاني وشخصيات أخرى كبيرة وهي أول رحلة له . ولتشابه هذه الأيات والخاطرة المذكورة في الموضوع والمعبرة التي توحى بها أحببت أن أقدمها إلى قراء (المسلمون) الأعزاء إن رضى أخى سعيد . .

لَنْ لَمْ يَأَلُ جَهْدَهُمُ الطُّفَاةُ	فَمَا فَلَّتْ لِفَيْرِهِمْ شِبَابَةُ
وَمَا زَالَتْ تُصِيبُهُمْ عَوَادِ	بِمَا صَنَعُوا وَتَغْزُومُ عُدَاةُ
وَمُنْطَادٍ كَطَوْدٍ مُشْـمَخِرَةٍ	تَضِيقُ بِهِ الْجَوَاءُ الْوَاسِعَاتُ
بَنُوهُ عَلَى تَحْدَى الْعَزْلِ يَمْنُ	يَرَوْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ قَذَاةُ
وَقَالُوا فَلْنَسْـيِرُهُ اِزْدِجَارًا	إِلَى مَنْ لَمْ تَنْهَنِيهِمْ أَنَاةُ
إِلَى الْهِنْدِ الْوَقَاحِ فَإِنَّ فِيهَا	ثَوَارًا لَا تَلِينُ لَهُمْ قَنَاةُ
فَلَوْ أَبْصَرْتَ حِينَ تَوَى نُهوضًا	وَأَمْطَاهُمْ رُؤُوسُهُمُ الدَّهَاةُ
وَقَدْ حَشِرْتَ لَهُ الْأَقْوَامُ حَشْرًا	وَكُلُّهُمْ عِيُونَُ شَاخِصَاتُ
تَحْرَكَ نَاشِرًا فِي الْجَوِّ ذُغْرًا	فَأَجْفَلَتِ الْجُمُوعُ الْحَاشِدَاتُ
وَحَلَقَ فَوْقَهُمْ فَأَنَارَ ضَوْضَى	كَأَنَّ تَدْوَى الْوَعُودُ الْقَاصِفَاتُ
وَسَارَ وَخَشَوْ جَنْبِيهِ غُرُورُ	تُشِيعُهُ الْأَمَانِي الْخَائِبَاتُ
وَسَارَ فَمَا مَضَى إِلَّا قَلِيلُ	إِذَا بِالْجَمْعِ يَعْقُبُهُ الشَّتَاتُ
إِذَا بِاللَّيْلِ يَهْجُمُ وَاللَّيَالِي	لَهَا حَسَنَاتُهَا وَالسَّيِّئَاتُ
وَأَمْسَى الرَّكْبُ فِي فَرَحٍ فَأُضْحَى	وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الذَّائِحَاتُ
وَكَانَ يُرِيدُهُ فَتَحًا مُبِينًا	وَلَكِنِ الْمَقَادِيرُ افْتِخَاتُ
وَشَبَّتْ فِيهِ نَارٌ صَـيَّرَتْهُ	رَمَادًا بَعَثَتْهُ الذَّارِيَاتُ
وَعَادَ الطِّينُ مُنْجَدِلًا بِطِينِ	وَسَارَتْ فِي مَوَاطِنِهَا الْحَيَاةُ

باب الكتب : نقد وتعريف

المرأة بين البيت والمجتمع للأستاذ البهي الحولى

١٤٨ صفحة

مطبعة دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٣

أشار حضرة الأستاذ الكبير المرشد العام للاخوان المسلمين على الأستاذ البهي الحولى بأن يضع رسالة موجزة سهلة التناول تبين حقوق المرأة وواجباتها فى البيت والمجتمع ، ولم فيها بحكم الإسلام فى ذلك مأخوذاً من الكتاب والسنة ، الإسلام دين الفطرة السليمة فيما منح ومنع على أن يؤخذ كله جملة واحدة . فكان أن استجاب صديقنا الفاضل لهذه الدعوة الكريمة ، وكان أن جاءت رسالته وسطاً بين غلو المتزمتين وتفريط المترخصين ، ووسطاً بين الإسهاب والإيجاز ، وخير الأمور الوسط كما هو مقدر ومعروف ، وهى بهذا تجيب عن كثير من الأسئلة التى يتشوف للإجابة عليها المشتغلون بهذه المسألة الهامة .

ويندأ المؤلف ببيان نظر الإسلام إلى المرأة (ص ١٤٧) ، وهذا نراه يشير إشارة خفيفة إلى آراء الديانات الأخرى والفكرين القدامى فى المرأة ، وينتهى إلى أن الإسلام وحده هو الذى حقق للمرأة مساواتها بالرجل ورد لها اعتبارها وكرامتها . ثم أخذ يتكلم عن حقوق الأسرة التى تقوم على الزواج ، وعن حرية المرأة فى اختيار زوجها ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تُزَوَّجُ الأَيِّمُ حتى تُسْتَأْذَنَ ولا البكر حتى تُسْتَأْذَنَ » ؛ وعما يجب أن يكون بين الزوجين من مودة ورحمة وحسن عشرة لى يكون كل منهما سَكَنًا للآخر ، ومن ثم تناول بشئ من التفصيل حقوق وواجبات كل منهما ، وأبان أن الإسلام يرى بحق أن تكون سياسة البيت للمرأة وعمل الخارج على الرجل ، وهذا مما يتفق مع طبيعة كل منهما (ص ٤٥ - ٤٧) .

وقد رأى من الضروري أن يتعرض لما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » ، « وللرجال عليهن درجة » ، وأبان أن هذه القوامة لا تمتد مطلقاً إلى حرية المرأة فى دينها ورأيها وتصرفها فى مالها ، وإذا « ماذا يخيف المتطهرين من قول الله سبحانه : الرجال قوامون على النساء » (ص ٥٢) .

ويخلص صديقتها الفاضل بعد ذلك إلى الحديث عن حكمة الإسلام السامية في إياحة
تعدد الزوجات والطلاق (ص ٦٠ وما بعدها) ، وذلك مما امتاز به الإسلام المصلحة ،
المجتمع والزوجين أنفسهم . وهنا نذكر أن إياحة تعدد الزوجات هو الحل الوحيد
لمشكلة زيادة عدد النعماء عن الرجال زيادة فاحشة في أعقاب الحروب ، كما هو حاصل
فعلا في ألمانيا الآن ، وهذا ما لمستته بنفسى في مؤتمر حضرته بمدينة « ميونيخ » عام
سنة ١٩٤٨ ، وكان هو الحل الذى تقدمت به أنا وزميلى فى المؤتمر وفى كلية الحقوق
الآن . ولم يغفل المؤلف ، وهو يصور هاتين المسألتين ، بحث مسألة « المحلل » وبطلانه
(ص ٨٥) ، ومسألة تحديد النسل ودواعيه وأسبابه التى لها ما يبررها بحق أحيلته
(ص ٨٧ - ٨٩) .

فإذا وصل الأستاذ إلى الكلام عن المرأة والمجتمع (ص ١١١ وما بعدها) ، نراه
يذهب إلى آراء قد يَـزَوَّرُ عنها الجامدون المؤمنون ، ولكنه حسبه أنها آراء
تتفق مع الإسلام نصوصه وروحه . إنه يرى بحق أن المرأة « أن تخرج لزيارة والديها
وإخوتها وأخواتها ، ومن تُؤمِّن زيارتها له من أقاربها وصديقاتها » (ص ١١٨) .
« ولها أن تخرج للصلاة - وأداؤها فى البيت أفضل - وضرورات العلاج ، وقاعات
العلم والمحاضرات . . . على ألا تكون فى تلك القاعات عرضة لمجون العابثين . . .
ولها أن تخرج إلى الحقل أو السوق ، أو إلى أى مكان لا يثم فيه ، لشراء ما يحتاج
إليه بيتها وقضاء مصالحها » (ص ١١٩) .

ودور التمثيل والسينما « ليست محترمة لذاتها . . . فإذا وجدت دور تعرف كيف
تختار روادها من البيئات الكريمة وتحترم رسائلها ، فلا تعرض إلا للتسلية البريئة
والمناظر العلمية والروايات النافعة عقلا وخلقا ، فلا بأس من ارتيادها . . . »
(ص ١١٩) .

وفى مشكلة انتقال المرأة بالأعمال الحرة ، يرى أنه لا مانع أن تعمل المرأة ،
ولكن الحياة تخصص ، وخير التخصص وأنفعه ما جاء من صنع الطبيعة وإملائها . . .
ومن عرض صفحته للحق هلكه » (ص ١٢٢ - ١٢٣) ، وينتهى من هذا الفصل
بهذه القولة الحكيمة : إن الدين لا يحرم على المرأة أن تعمل ، ولكنه يحرم أن تهجر
ميدانها الطبيعى بدون عذر - وهو ميدان لا يُجدى فيه سواها - إلى ميدان
يعمره الرجل بكل كفاءة ومقدرة حيث لا حاجة إليها . فلتتغش المرأة ميدان

العمل العام ، ولكن عند الضرورات التي تجعل جهدها فيه على الأمة أجدى من بقائها في ميدانها الطبيعي (ص ١٢٧) .

وبهذه الروح الطيبة الحكيمة المنزنة ، عالج الأستاذ مشكلة المرأة وتولى وظائف الدولة (ص ١٢٨ وما بعدها) ، وحقوق المرأة السياسية (ص ١٣٦ وما بعدها) . وأخيراً ، ينتهي المؤلف الفاضل من رسالته بهذه الكلمة الحازمة : « ويجب أن يكون معلوماً أننا قررنا ما قررناه مقيداً بشروطه ، فلا يجوز أن نأخذ بعضه ونعرض عن بعض . فإله سبحانه إنما جعل ذلك الحق (يريد : الحق السياسي ، ومثله سائر الحقوق التي تكلم عنها بلاريب) للمؤمنين والمؤمنات الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » ، إلى آخر ما قال (ص ١٤٦) من الكلمات الحقة الحكيمة التي فيها فصل الخطاب .

* * *

هذا ، وكنا نود أن يستعمل المؤلف كلمة : طاقة أو قدرة ، بدل كلمة إمكانيات (ص ٩٩) التي وفدت إلينا من الشام والعراق ولا تعرفها العربية . وكذلك لم نفهم هذا التعبير الذي ورد بصفحة ١١٣ : « يتلصص بالشهوة » من ناحية اللغة ، فقد جاء في معاجم اللغة . لَصَّ يَلِصُّ وهو يتلصص ، إذا تكررت سرقة ، اللَصَّ فعل الشئ في ستر ، ومن ذلك نرى أن التعبير كما جاء في حكم المؤلف مما لا تفرقه العربية . ومع ميلنا إلى اعتبار زواج « المحلل » زواجاً مقبلاً ، فإننا من ناحية الفقه لا نستطيع الموافقة على ما ذهب إليه المؤلف (ص ٥٨) من أنه باطل قولاً واحداً . إننا نعرف أن الإمام أبا حنيفة يرى أن هذا الزواج — حتى إن كان بشرط التحليل — صحيح إلا أنه مكروه تحريماً وبه تحل المرأة لزوجها الأول ، وإن كل من صاحبه يرى رأياً آخر (١) .

وبعد ! فالأستاذ البهي الخولي مشكور من الله والناس جميعاً أن كتب هذه الرسالة العظيمة التي يقدرها له كل ناطق بالضاد وطالب للحق في نفسه ، وهو غني عن التنويه به بما يكتب في هذه المجلة وبكتابه « تذكرة الدعاة » الذي سرنا تقديمه للقراء وبرسالته الأخرى التي لم يقصد منها إلا وجه الله وبيان الحق في نفسه .

(١) راجع ابن عابدين ٢ ص ٥٥٤ — ٥٥٥ ، الزيلعي ٢ ص ٢٥٩ .

ويقيننا أن فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الأزهر إذا عرف الأستاذ حق المعرفة سيحمله من الأزهر المحل اللائق به ، فالأستاذ من أحق العلماء بأن يعهد إليه تدريس التفسير أو الحديث بكلية أصول الدين ، لأنه في رأينا من القلائل الذين تعمقوا القرآن وأحبوه ووصلوا إلى الكثير من أسرارهِ .

هدية مشكورة

تلقي كاتب هذه الكلمة هدية كريمة من الجامعة الإسلامية ببشاور من الباكستان ، وهي مجموعة من الرسائل التي نشرتها دار العروة للدعوة الإسلامية بالباكستان ، ومعظمها من تأليف الأخ الكريم والأستاذ الفاضل الداعية الإسلامي المعروف أبو الأعلى المودودي ، مع رسالة أخرى عن جوهر الدين للأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب وأخرى عن الإسلام ودعوته للأستاذ مسعود الندوي .

وكل هذه الرسائل القويمة العميقة ، تفيض ببيان الإسلام في سائر مناحيه ، وبالدعوة له والتوجيه إليه ؛ ليكون دين البشرية كلها ، ولينزع المسلمون المؤمنون حقا به الزعامة الفكرية والسياسية ممن استبد بها وليس من أهلها .

شكراً لله للاخوان الأفاضل جميعاً هذه الجهود ، ووفقهم وأعانهم على ما هم بسبيله ، ومنى إليهم أخلص الود وأجزل الشكر وأطيب التحية .

الدكتور محمد يوسف موسى

الْبَيِّنَاتُ عَلَيْكَ حَقًّا

بإشراف الأمير الای الدكتور أحمد التاقه

س ١ : برد شديد منذ عامين أعقبه سعال شديد وبلغ مع صغیر في الشهييق والزفير وخاصة في الصباح حين يستيقظ من النوم .

ج : هذا تعدد بالشعب الهوائية أو نزلة شعبية ربوية وأرى لزوم الفحص بالأشعة قبل وصف العلاج .

س ٢ : نمو الشعر في مواضع شاذة مثل الأنف .

ج : أمر عادی إلا إذا كان غزيراً فعلاجه خلاصة بعض الغدد الصماء حسب نتيجة الفحص .

س ٣ : إذا كان للتدخين ضرر فلماذا يدخن الأطباء .

ج : للتدخين أضرار مؤكدة منها استعباد الادمان عليه واضطراب دقات القلب وشرايينه واحتمال سرطان الرئة وافتساد الهضم واضعاف الشهية للطعام . وأغلب الأطباء يقرعون أسرى ادمان التدخين قبل أن يصيروا أطباء ، ومع ذلك فهم بشر يخطئون .

س ٤ : لماذا ضعف الفلاحون برغم الوحدات الصحية والمستشفيات .

ج : بسبب القلها تارنيا والانكاستوما ونهبان البطن والدوسنتلريا المنتشرة نتيجة للبول في موارد الماء والتبرز في العراء وهذا منكر واثم كبير تهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « اتقوا الملاعن الثلاث : البول في موارد الماء وقارعة الطريق والظل » .
س ٥ : زوجته صلعاء وأبوها أصلع الرأس وله بنات ثلاث يخشى عليهن الصلع فما العلاج ؟

ج : لم تثبت وراثية الصلع حتى مع صلع الوالدين . وقد يعين على منعه غسل حمض السليسيل والسلیمانی بنسب خاصة مدة طويلة .

س ٦ : هل الاجهاض حرام ؟

ج : نعم حرام على الزوجين الصحيحين القادرين على رزق العيال . وحلال لمرض الزوجين بمشورة الطبيب . أما كثرة العيال وضيق ذات اليد فلا تبرر الاجهاض لأنه قتل للنفس التي حرم الله .

س ٧ : كان يعتقد براءة الأطفال ولكنه اكتشف أن ابنه يكذب ويسرق فما السبب وما العلاج ؟

ج : الأسباب كثيرة : إما قلة التقدير والفهم وإما التفاخر والبطولة وإما انتقاماً لقلق أو غضب وإما تهليلاً للكبار ، وعلاجه بالحسنى لا بالقسوة والضرب ؛ فحاول أن تفهم نفسيته واستعن على ذلك بالمدرسة .

س ٨ : بنته الصغرى مريضة بالقلب ويريد الجراح أن يزيل زائدها الدودية لأنها ملتهبة فهل تتحمل البنج والجراحة .

ج : نعم إلا إذا كان القلب في حالة هبوط شديد يستعصى على العلاج وكانت الزائدة تحتل التأجيل .

س ٩ : هل داء السكر مانع من الحمل .

ج : لا . إلا إذا كان شديداً أو مضاعفاً أو كان الزوج مريضاً به كذلك فيصبح النسل عرضة للمرض الشديد .

س ١٠ : صحته جيدة ، يأكل ماشاء ولكن على لسانه طبقة من البياض لا تزول فما

السبب وما العلاج ؟

ج : قد لا يكون السبب واضحاً ولا يسبب اعراضاً ولا يدعوا إلى الاهتمام الكثير . ومع ذلك فقد يفيد الغذاء الخفيف وعدم التدخين وعلاج الإمساك إن وجد والإقلال من المليينات الشديدة . فإذا كان هناك انتفاخ لزم فحص المرارة والزائدة والمعدة والأمعاء بالأشعة والتحليل .

نصيحـة

كتب عمر إلى معاوية :

... « أما بعد فإنني كتبت إليك بكتاب في القضاء لم آلك فيه ونفسي خيراً .. إلزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك خصمان فعليك بالبيئة العادلة ، أو الميمن القاطعة . وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد القريب ؛ فإنك إن لم تعهده ترك حقه ، ورجع إلى أهله ؛ وإنما ضيع حقه من لم يرفق به . وآس بينهم في لحظك وطرفك . وعليك بالصالح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء »

مع العارفين

عون بن عبد الله بن عتبة

هل هو من الزاهدين ، فالزهد مفتاح شخصيته ؟

أو هو من العابدين . . . ؟

أو هل خص بنفحة من فقه ، فهو يقيم بها عمله ، وعبادته ، وزهده ، ويستخرج بها من دقائق القرآن ما لا يلتفت إليه سواه ؟

لقد تعددت نواحي الجمال في حياة عون بن عبد الله بن عتبة . فهو زاهد ، ولكن ليس فيه عزلة الزهاد .

وفقيه ولكن من طراز رقيق رفيع .

وتواب ولكن من غير خطيئة .

وطروب ولكن في غير رفث .

وإجماعى ولكن في غير غفلة .

ومثالى ولكن لا يخلّق في الخيال .

وواقعى ولكن في جانب الحق وكريم الفعال .

ولا يطول بك البحث عن مفتاح شخصيته ، أو عن الصفة الغالبة التي كست جوانبه كلها بسناها ، وغذتها برحيقها فغدت حية وضيئة ، سخية .

كان شديد الذكر لله تعالى ، أو قل كان دائم الذكر له سبحانه . . . !

وليس الذكر عنده تحرك الشفتين بأسماء الله بحسب ، بل الذكر كل الذكر حضور هبة الله في القلب ، ورؤيته سبحانه في كل شيء ، وتحرك الخاطر بسر صفاته مع كل حال دون كيف ولا تشبيه .

وله صفاء في الطبع ، وشفافية في المزاج ، فقام ذلك الصفاء كالمرآة المجلوة ، يستقبل من أسرار الله ما يستقبل ، ويتراءى فيه من أسباب الذكر ما يتراءى ، فكان ذكره لله ضرورة من ضرورات الطبع كما هو أثر الرغبة في عبادته سبحانه .

ولقد اشتد به حب الذكر وتقديره لمكانه في الحياة حتى قال : « إن لكل رجل سيداً من عمل وإن سيد عملي الذكر » .

والله حي ، قوي ، قادر ، عزيز ، غنى ، علم إلى غير ذلك مما أثنى به على نفسه ،
فإذا حلت أسرار تلك الصفات القدسية بقلب الذاكر ، فقد حل سر الحياة ، والقوة ،
والقدرة ، والعزة ، والغنى ، والعلم ، وهكذا .
وكل ما حولك موجب للذكر الله .

فالشمس والقمر والكواكب والنجوم ، والكهف والجبال والبحار والشجر
والدواب والأنعام والطيور والرياح والمسخر بين السماء والأرض ؛ ذلك ونحوه من آيات
الله موجب للذكر لا محالة ، إذ لا صنعة بلا صانع ، ولا أثر بدون مؤثر ، فإذا ذكر
الإنسان ربه بتلك الآثار ، فهو المنطق الطبيعي والنتيجة للترتبة على ما يرى ؛ وإذا لم
يُذكر الصانع بآثار صنعته ، فمنطقه الفطري معطى وقلبه غافل أو ميت .

وإذا تركت صحيفة لمشاهدات والآيات الكونية إلى ما يتصل بك مباشرة من طعام
وشراب ولباس ونوم وصحو و... ألغيت كل شيء من ذلك موجباً للذكره جل شأنه
إذ هو فضله سبحانه ونعمته التي أسداها إليك بلا حول منك ولا قوة . ولو تأمل
الإنسان بعين عقله ما لله من منة في كوب الماء الفرات لحضره من المشاعر ما يهز قلبه
هزاً عميقاً . ولرأى على ضوءه ما للعملة من بلاهة وجمود وآفات وأمراض .
فالناس رجالان :

رجل يرى ما لله في السموات والأرض من آيات ونعمة ، فلا يلتقي بالا إلى ما يرى
ولا يتأثر بما بين يديه من فضل ، فهو ميت . وإن عُد في عرف الحياة الظاهرة بين
الأحياء ؛ ميت لأنه مقطوع الصلة بسر الوجود واطن الحياة . ميت القلب لا ميت
البدن ، وفي مثل هؤلاء يقول الله سبحانه : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس
لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ،
أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغفلون » .

ورجل يرى فسرعان ما يربط الصعلة بالصانع والخلق بالخالق في منطق فطري
كامل ينظم الفكر والشعور جميعاً ، ويستخرج من هذا الربط ما شاء له الله من عبرة
وحكمة وحياة . أولئك هم أولو الأبواب ، وأولئك هم الأحياء وقليل ما هم .
ذلك هو معنى الذكر الذي كان يحيي في قلب عون بن عتبة ، ويحيي عون بن عتبة
فيه ، حتى رأى أن الذكر هو الحياة ، والحياة هي الذكر فقال : « لو يأتى على الناس
ساعة لا يذكر فيها الله عز وجل لهلك من في الأرض جميعاً » .

والذكر عدة المرء في الحياة وهو عزيمته وسلاحه ، ولا طاقة بالحياة وأهوالها لمن
عاش في ظلمة نفسه وغفلة قلبه ، وفي ذلك يقول : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل

عن الفارين ؛ والغافل في التذكرين ، كالفار في المقاتلين .
 ويستفيض به هذا اليقين حق يرى في الذكر بشرى وحياة للجهاد لا للأحياء
 لحسب ، وما أحسن ما يستخرج ذلك من كتاب الله عز وجل ، فيقول : « إن الجبل
 لينادى الجبل باسمه : يا فلان ، هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فيقول : نعم !
 فيستبشر به . ويستطرد عون فيقول : هن للخير أسمع ، ويتلو قول الله تعالى : « وقالوا
 اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إذاً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتذشق الأرض ،
 وتخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً » ويعلق على هذا بقوله : « أفيسمع من
 الزور والباطل من القول ولا يسمع من ما هو حق ؟ » .

وكان من ذكره لله وقوة صلته بضمير الوجود يحس ما في الحياة من خير روحى ،
 ويدوق ما هنالك من نفحات ربانية مرسلة ، يذوقها بقلبه لا بفمه ، ويحسها بجنانته
 لا ببينانه ، وفي ذلك يقول : « الخير من الله كثير ، ولكن لا يبصره من الناس
 إلا اليسير وهو للناس من الله معروض ، ولكن لا يبصره من الناس من لا ينظر إليه
 ولا يحده من لا يبتغيه ، ولا يستوجبه من لا يعلم به . . . ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء
 فإنه لا يهتدى بها إلا العلماء » .

وما أجمل ما يرى أن خير زاد المرء من هذه الدنيا هو ذكر الله وتقواه ، وأن
 ذلك هو نصيبه منها وحسبه من نصيب ، وما أجمل ما يذهب إلى ذلك في تفسير قوله
 تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » فيقول : « إن ناساً يضعونها على غير موضعها ،
 إنما هي أقبل على طاعة ربك وذكره وعبادته » .

وبعد فمن هو عون هذا ؟ وما أثر ذكره في اختيار نهجه في الحياة ؟

مع الدعوة والناس

الداعية يجب أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه ، متوهجة في ضميره ، تصبح في دمايته — وهذا هو الداعية الصادق الذي تحس إيمانه بدعوته في النظرة والحركة والإشارة ، وفي السمة التي تختلط بماء وجهه ، وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته .

الداعية المسلم هو الذي يذكر دعوته في نومه ويقظته وعلى طعامه وبين أهله ، وفي حله وسفره وفي كل مجالسه . إذا قصد إنساناً فللدعوة ، وإذا سلم إنساناً أو عاداه فبسببها ، وإذا فرح أو حزن فمن أجلها ، وبالجملة تكون هي المسألة الأولى الحاضرة لديه في كل وقت من أوقات حياته ، هي صلب الحياة ولها وصميمها ، وأمور العيش على هامشها وأطرافها .

البيهي الخولي

من « تذكرة الدعاة »

شردت نفسه فقلت له : يا صاحبي ، عجلة الزمن دائرة ، أرى الناس أو أرادوا ، وهذا الزمن أثر لا يتعجل بهوى ، ولا يدلي بسر ، فأشركه معك في كل أخطواتك واجعله من مناهجك في كل عزيمتك ، ولا تغالبه فإنك بعض ركبته إلى حيث لا تدري . واذكر دائماً يا صاحبي أن الفارق بعيد بين صالح ومصلح ؛ فالصالح يحى في نفسه لا يبالي بأحد ، والمصلح يحى الناس به وهو يحترق بهم . والبون شاسع بين طالب جنة وداع إليها : فطالب الجنة يدق على بابها وليس وراءه إلا الخير والسلام ؛ والداعى إليها يدق على قلوب الناس ، وأكثر ما فيها أقدار وأدناس و « قل أعوذ برب الناس » .

سعيد رمضان

« من المذكرات »

لحظات الاشراق الفنى

لشاعر اليمن القاضى محمد محمود الزبيرى

أحس بريح كريح الجنان تهب بأعماق روحى هبوبا
وأشعر أن القوافى تدبُّ كالملء ملء دماغى ديبا
فهذا يزوغ وذاك يروغ وذلك يذعن لى مستجيبا
وذاك يفارقنى يائسا وهذا يواعدنى أن يؤوبا
ومنها أصوغ حياة الشعوب ومنها أنير عليها الحروبا
ومنها أوزع للعالمين طهراً وأنشر فى الأرض طيبا
ومنها أسودُ ومنها أجود ومنها أقارع غنى الخطوبا
ومنها أصور هذا الوجود واكشف منه البديع العجيبا
ومنها الشوارد مثل البروق تحيى الموات وتروى الجديبا
إذ لمست مهجتي لمسة توثب قلبى بصدري وثوبا
ومنها الأوابد لم تسكن المقول ولم تأوِ قط القلوبا
إذا نزلت خاطرى فزعت كوحش يواجه مضراً خصيبا
ومنها الموليد ثأنى الوجود فتأبى الزوال وتأبى المشيبا
أراها فأحقر شأن الروى بعيداً أنى أو أتانى قريباً
أخلف منها لقاح النهى وأصنع للأرض منها شعوبا
وأزهو بها راضياً معجباً بأنى ولدت الكثير النجيبا
ومنها المطايا إذا اقتدتها فتحت السما وهتكت الغيوبا
ومنها النوافر لا يستطيع إلا نبي عليها ركوبا
وأكثرها مفلت من يدى يغيب ولا يشهى أن يغيبا
حروف الروى بها نطفة ترعرع بيتاً عريقاً نسيبا

يضمخه الجرح من مهجتي ويخرجه من دماء خضيبا

وقافية تبتغى فى البحور درأ أصيلاً وصيداً جليلاً
ووزن تحمل ثقل الجبا ل يقسم فى طيه أن تذوبا
ومعنى يسير إلى لفظه ولفظ لمناء يجرى دؤوبا
وكل له موضع معلوم يؤول إليه رشيداً ليلاً
يسارع شكل إلى شكله ويطلب كل ضريب ضرباً
كان يعلى لها جنة يلاقى بها كل صب حبيباً
نواميس يسمى إليها الكلام ويبغى له من خلود نصيباً
أسلم نفسى لها ذاهلاً حريصاً عليها بشوشاً طروباً
وأصمت مستمعاً تارة وأصرخ حيناً عبوساً غضوباً
ولولا اهتدائي لسر النبوغ وأعراضه لطلبت الطيباً
وما كان عقلى أجهراً لها ولا كنت منها لكسب طلوباً
ولكنها قدر غالب قضى أن أكون فكنت الأديباً
كذاك طبعته ومن يستطيع من طبعه موثلاً أو هروباً
أحب القريض وأحبابه مع المول طفلاً ضحوكاً لعوباً
وأما المشيب على مفرق فقد صار كالناس لونا كذوباً
وروح الطفولة فى نزعتى وفنى ستمنعنى أن أشيباً
خذوا كل دنياكم واتركوا فتاوى حرّاً وحيداً غريباً
فانى أعظمكم دولة وإن خلتمنى طريقاً سليلاً

لقد كنت أرى في هذا البيت من المعاني ما لا يمكن أن يعبث به
لقد كنت أرى في هذا البيت من المعاني ما لا يمكن أن يعبث به

الليبي المطهر

للأستاذ محمد مجذوب

[ألمح ولدى غسان دموعي تفيض ، وأنا أنلو شيئاً من كتاب الله ،
فأخذ يلومني على هذا الضعف يلاحظه على في بعض أوقات الصلاة أو التلاوة ..
ولم أجد له جواباً غير هذه القصيدة .] (م . م)

لقد لامني غسان لما رأيته
يقول : علام الضعف ينشاك كلما
وأنت الذي لقنننا الصبر حكمة
ولست ، بفضل الله . بمن إذا جرى
ولكنني أعصى جفوني ، وفي الحشا
أذلك رجع السن وافتك مبكراً
.. فقلت : رويداً يا بني فإني
هو الحب يا غسان يستبدل النهى
وليس (جميل) ، لا ورب (بئينة)
ولا (ابن ذريح) إذ يقارق رشده
سبي قبلي العشاق جيد ومقله
وما أنا بالبأغي على الحب متعة
ولكن في حبي لهيباً مطهراً
لئن هتأمت غيبي بالجمال فإنما

أغالب أجفاني على الدمع جارياً
سمعت كتاب الله ، أو كنت تاليا
يخر لها لديها الخطب خزيان واهيا
على السمع ذكر الله أعرض جافيا
مراجل دمع قد بلغن التراقيبا
أم السقم .. أم أشياء لم أدر ما هيأ
أعيدك أن تشتط في الحكم باغيا
جنونا ، ويستخذي له الدمع عاصيا
بأوجد مني لو تعرفت شائيا
(بليلى) أشد اليوم مني تفانيا
فجنوا وما لي بموا ، فكيف ملائيا
وأخجل أن يلتقي الله لاهيا
وجدت به من كل داء شفائيا
بمصدر أسرار الجمال هيأيا

ورب حديث من حبيب مفرر
ترأت له أحلامه من خلاله
ألم بصب فاستطير تصاييا
فكان هو الدنيا ، وكان الأمانيا

فكيف تراني أملك الوعي لحظةً إذا زجَّع القالون تلك المثاني !
 وفي كل حرفٍ ثمَّ للقلب نفحةٌ أكاد بها أنسى وجودي وذاتي
 وأوشكُ فيها أن أرى اللهَ جهرَةً يُطلُّ برحماءه على مناجيها
 فتسبح روحى منه فى كل عالمٍ أرى كل شيء فيه — حاشاه — فانيا
 فلا قيْدَ من فقرٍ وخوفٍ ورغبةٍ ولا سِتْرَ إلا النورَ يَفْشَى المآقيا
 كهاربٌ لو مسَّتْ جشا الطودِ رأسخاً نحرٌ لها من خَشْيَةِ الله جاثيا

أَقِلَّ عَلَى اللَّوْمِ غَسَانُ . . . إِنِّى سَعِيدٌ بِهَذَا الدَّمْعِ يُفْنِى كِيَانِيَا
 فلم يبك من ضعف أبوك ، وإنما حينئذٍ لمن يعنوله الكونُ باكيَا



معرفة الحقائق

« إننا لن نستطيع أن نعرف وضعنا الحقيقي في هذا العالم إلا إذا عرفنا الحقائق
 في هذا العالم وواجهناها سواء في علوم الطبيعة والكيمياء الجيولوجيا أو البيولوجيا
 أو علوم العقل والسلوك » .

« ما كس أو هو »

إخواننا في نيجيريا



تقع نيجيريا غرب القارة الإفريقية على ساحل المحيط الأطلسي ، وتبلغ مساحتها (٤٠٧ آلاف) ميل مربع أى ما يساوى مساحة إنجلترا وفرنسا وبلجيكا ؛ ويرى أراضيها نهر عظيم يدعى النيجر ويروعه المتيدة فى أنحاء البلاد . وتعد نيجيريا اليوم أكبر مستعمرات بريطانيا بعد أن فقدت الهند وأكثرها تقدماً ؛ وفيها من السكان أكثر من أى قطر فى القارة الأفريقية ، وهم زهاء ثلاثين مليون نسمة .

يتطن نيجيريا ثلاث قبائل رئيسية : هووسة ويوربا وايبو ، وتُحسبها تنقسم نيجيريا إلى ثلاثة أقسام :

١ — القسم الشمالى وتقطنه قبيلة هووسة وفيه ستة عشر مليون نسمة منهم أربعة عشر مليوناً مسلمون .

٢ — القسم الغربى وتقطنه قبيلة يوربا وفيه ستة ملايين نسمة منهم أربعة ملايين مسلمون ، والباقي ديانتهم المسيحية وغيرها .

٣ — القسم الشرقى وتقطنه قبيلة ايبو وسكانه ثمانية ملايين نسمة أكثرهم مسيحيون . وعلى ذلك فالمسلمون يكونون فى نيجيريا نسبة ٦٦ ٪ من السكان ، متركزين فى الشمال والغرب ، وبذلك تعد نيجيريا من البلاد الإسلامية .

مركزها الاقتصادي :

تمتد نيجيريا من أغنى الأفطار على وجه الأرض ، وثاني قطري العالم بتوفر فيه الغذاء بعد أمريكا .
ونيجيريا لا تزال تعتبر بلداً زراعياً ، وأشهر حاصلاتها : الكاكاو والكاولا والفول السوداني
والقطن والأرز والقمح والقوة والزنجبيل . ومن الفواكه : البرتقال والموز والأناناس
والبابوس والشمام .

وأراضي نيجيريا غنية بمعادنها وأهمها الذهب والنحاس والصفائح والبتروول والنفط والرصاص
والفضة وحجر الماس والزنك والحديد والمغنيسيا والياقوت الأصفر وحجر سيلان وحجر الكلس
والجبس وحجر الأردواز .

وتصدر نيجيريا من حاصلاتها الكاكاو والكاولا والزيت والقطن والفول السوداني والمطاط
والأخشاب والجلود ، وقد بلغت صادراتها في العام الماضي (١٣٠ مليون) جنيه .

وحيث أن المجال محدود من الناحية الصناعية في نيجيريا كان لابد من استيراد ما تحتاج إليه
من المنسوجات وأدوات البناء وسائر المصنوعات الحيوية وقد بلغت قيمة الواردات في السنة الماضية
(٨٥ مليون) جنيه معظمها من أسواق إنجلترا !

الإسلام في نيجيريا :

دخل الإسلام نيجيريا في القرن الثامن الهجري مع قوافل تجار مغاربة شمال أفريقية ، وكان
أهم مراكزهم دجنه (Djene) ثم تمبكتو (وما حالياً من بلاد الداخل في السودان الفرنسي
في منطقة منابع نهر النيجر) .

مسلمو الشمال : استعصى مسلمو الشمال على الاستعمار زمنياً ، ولم تتمكن جحافل الإنجليز من
اكتساح بلادهم ، إلا أنهم عرفوا موطن الضعف فيهم ، فقد كان سلاطين الشمال على اتحادهم
في مواجهة الاستعمار جاثرين على الأهالي يحكمونهم باسم الإسلام والإسلام من ظلمهم يرى - وتلك
آفة الحكام في كل بلد إسلامي منكوب - وبذا تمكن الإنجليز من تمزيق صفوف السلاطين ،
إلا أنهم لم يحكموا البلاد حكماً مباشراً لما عرفوه من عناد المسلمين للكفار هناك ، فأعادوا الحكم
لأولئك السلاطين الطغاة ، وهم لا يزالون مستبدين بالأمور حتى اليوم يعملون بما عليه
عليهم الفاصبون .

ومع أن هذه المنطقة قد مارست الحضارة قبل قسماً الشرق والغرب في نيجيريا ، وعرفت
القراءة والكتابة بفضل الإسلام منذ زمن بعيد ، إلا أنها الآن تأخرت عنهما كثيراً . فقد
حرص الاستعمار هنا على أن يمز لها ثقافياً عن العالم فجعل مناهج التعليم الابتدائي والثانوي خاصاً
لا تمت بصلة إلى الشرق الإسلامي أو الغرب الأوروبي .

ولإشباع الرغبة في التعلم العالي أنشئت الكلية الشرعية ويدرس فيها مدرسون من السودان
وبعض الإنجليز الذين كانوا يخدمون في وزارة المعارف المصرية ، وهي خاصة ببناء السلاطين
تؤهلهم لتولي المناصب العامة . وإنشاء هذه الكلية منتهج الاستعمار الذي يهدف إلى عزل
هذه المنطقة عن العالم الإسلامي ، وبذلك عزف الطلاب عن إتجاه الأزهر لطلب العلم .

مسلمو الغرب : إن أثر المدنية الغربية في هذه المنطقة أظهر من أثره في الشمال وذلك لسببين :

الأول لأن الحكم فيها بريطاني مباشر ، والثاني لوجود الوطنيين المسيحيين الذين ترعاهم الجمعيات التبشيرية النشطة .

وقد نشأت سنة ١٩٢٨ جمعية إسلامية في هذا القسم تدعى جمعية أنصار الدين تهدف إلى نصر الإسلام بطرق تتمشى مع العصر ، وتعميم المدارس ، وقد أنشأت هذه الجمعية أول مدرسة ثانوية سنة ١٩٣٢ ولها الآن ستون مدرسة منبثة في أقسام نيجيريا الثلاثة ومعهد للمعلمين وكلية لتعليم العالي لأبناء المسلمين . وتنفق الجمعية على بعثات تتلقى العلم في الخارج ليعود أفرادها مدرسين في الكلية وسائر المعاهد .

وهناك جمعيات إسلامية أخرى ، ويساهم في بعضها النساء بنصيب وافر .

الاستعمار في نيجيريا :

نيجيريا مستعمرة استولت عليها بريطانيا سنة ١٨٥١ ونالت اعتراف الدول سنة ١٨٥٥ في مؤتمر « برلين » .

لأن معظم البلاد الساحلية من نيجيريا لم تسكن معروفة لدى الإنجليز حتى سنة ١٩٠٣ ، وقد كان يسيطر على بعضها ويستغلها تجار البرتقال والأسبان الذين وجدوا لحاصلاتها أسواقاً رائجة في أوروبا . لهذا طمعت فيها بريطانيا وقامت بغزوها ؛ ولم تعوزها الحجة فبررت ذلك الغزو بحركة وقف تجارة الرقيق التي كانت رائجة في غرب إفريقيا ، وكان رئيس عصابات هذه التجارة مقره لاغوس عاصمة نيجيريا اليوم ، وتحت هذا الادعاء وضعت لاغوس تحت نفوذ العلم البريطاني بعد معركة دامية هزم الإنجليز فيها ملك لاغوس — رئيس عصابات الرقيق — وطرده وولوا مكانه ابن عمه الذي ساعدهم في الاحتلال ، وأخذوا عليه عهداً بالتبادل التجاري والتسكين للتجار الأوربيين ولنشطاء المبشرين .

استقرت حكومة الاستعمار في لاغوس حتى أصبحت مستعمرة بريطانية رسمية سنة ١٨٦١ ، ثم أخذت تتوغل في البلاد حتى استمرت سائر بلاد نيجيريا التي كانت خاضعة لاتفاقية مع شركة النيجر الملكية .

وفي سنة ١٩٠٩ أصبح حاكم المستعمرة في الشمال حاكماً لمحمية جنوب نيجيريا أيضاً ، ثم توحد الشمال والجنوب سنة ١٩١٤ .

الحالة السياسية :

تحكم نيجيريا اليوم بحكم دستوري نالته منذ سنتين نحوها الاستقلال سنة ١٩٥٦ ، وقد نال النيجيريون هذا الدستور نتيجة لكفاح مرير سقط على أثره الدستور السابق .

وتتركز الحركة الوطنية في نيجيريا في ثلاثة أحزاب ، وهي : حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطني وحزب أبناء شمال نيجيريا ، وحزب العمل ، وأقوى هذه الأحزاب وأكثرها أنصاراً حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطني الذي يرأسه الدكتور أركوي ، وهو سياسي معزوف في أوساط السياسة الأوربية والأمريكية ومعظم بلاد افريقية ، وكان أول من أرسل محامياً للدفاع عن رئيس حركة ماو-ماو في كينيا .

يشارك في الحكم الداخلي في غينيا الأحزاب الثلاثة . فنذ اضطرت بريطانيا إلى تغيير دستور سنة ١٩٤٧ قسمت نيجيريا إلى ثلاث مناطق لكل منها نوابها ومجلس وزرائها ، ويضمها برلمان

واحد ، وفي بعض المناطق الغربية والشمالية مجالس لرؤساء القبائل . ويمثل نيجيريا في الخارج ويتولى التشريع لها مجلس الوزراء المركزي . وبحكم المنطقة الشرقية حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطني الذي يهدف إلى توحيد نيجيريا ، وبحكم شمال نيجيريا حزب أبناء شمال نيجيريا ، وهو ينادى باستقلال كل منطقة عن الأخرى تحت اسم نيجيريا ؛ وفي المنطقة الغربية يتولى الحكم حزب العمل الذي يعارض حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطني معارضة شديدة .

ومما يذكر أن بريطانيا تشجع الانقسام والفرقة ، شأنها في الاستعمار في كل مكان ، وقد حاولت فصل الشمال عن الجنوب واصطنعت أنصاراً من سلاطين المسلمين في الشمال للمطالبة بنصف مقاعد البرلمان التي تبلغ ١٣٢ مقعداً ، فرضى بذلك الجنوبيون نظراً للخطر الناجم عن التقسيم ، وبذلك أحبطوا على الانجليز هذه المحاولة .

التعليم :

تختلف نسبة التعليم في نيجيريا باختلاف مناطقها الثلاث ، فالنسبة في المنطقة الغربية ٤٥ ٪ وفي المنطقة الشرقية ٢٥ ٪ أما في المنطقة الشمالية فنسبة المتعلمين ٢٠ ٪

وفي نيجيريا اليوم ٩٠٠٠ مدرسة ابتدائية و ٣٢٧ مدرسة ثانوية و يبلغ عدد مدارس المعلمين ومعاهد التربية ١٢٣ ومنذ عامين فتحت كلية جامعية ملحقة بجامعة لندن . وتنفق على قسم من هذه المدارس حكومات نيجيريا ، وقسم آخر كبير يتولاه التبشير ، وقسم ثالث ينفق عليه الأفراد الوطنيون والجمعيات الإسلامية .



التبشير والثقافة الاستعمارية :

إن حركة التبشير في نيجيريا نشيطة نشاطاً بالغاً يدل عليه كثرة المدارس والمراكز التبشيرية المبثوثة في أنحاء البلاد ، وتسير حركة التبشير حركة أخرى لا تقل خطراً هي الغزو الثقافي الانجليزي الاستعماري الذي يحتاج أبناء نيجيريا .

إن دستور نيجيريا الجديد يقضى بمنح النيجيريين الحكم الذاتي في سنة ١٩٥٦ ، ويسعى والاستعمار كأنه في سباق في بث ثقافته سعياً يدل عليه هذا التزايد في البعثات للدراسة في إنجلترا ، حيث يبلغ عدد أفرادها ثمانمائة طالب منهم مئتان من الإناث . ويدرس في أمريكا ستون طالباً منهم خمسة وعشرون طالبة .

وأخشى ما نخشاه حين يحتل هذا الجيش المتسكك من الوطنيين المثقفين بالثقافة الأجنبية مراكز المستعمرين أن تعاني البلاد من أثر هذه الثقافة فيهم مما لا تزال تمنيه أخواتها في العالم الإسلامي وعلى أية حال ، فأثر الحياة الغربية في نيجيريا محدود ، ونرجو أن تحبط الفطرة الإسلامية في نفوس النيجيريين أثر الاتجاهات الاستعمارية سواء من المواطنين أو المستعمرين ، حتى يكتمل لهم الوعي الإسلامي مستجيباً للانتعاش الساري في كل البلاد الإسلامية ليقوم بالدور الإيجابي ، لافي لإزالة كابوس الاستعمار وحسب ، بل في نهضة الشعب النيجيري على أصول الإسلام وقواعده .

في أفق العالم الإسلامي

بإستابه :

يعلم الناس صلتنا بالباكستان وحبنا لها ، وتعلم باكستان قبل غيرها أننا لم نتصل بها ولم نحبها إلا لما رجونا في نصرتها من نصرة الإسلام ، ومعنى ذلك أننا نقف إلى جانبها ما التزمت عهدها في تنفيذ أحكامه ، فإذا حدث عن ذلك فواجبنا الأول أن نذكرها به ، وأن نلح في تذكيرها ، فذلك حقها ، وحق الآمال الكبيرة التي يعلقها عليها المسلمون في كل مكان ، فإذا رفضت النصيحة فإنا أول من يفاصلها ويقول فيها كلمة الحق . لأننا مسئولون عن هذه الآمال المعلقة والمواطف الصادقة التي لائتمنتنا في كل قطر من أقطار الإسلام . ونحن واثقون أننا في كل ذلك نمثل مواطف الشعب الباكستاني قبل غيره ، فقد عرفنا هذا الشعب وعشنا معه قرابة عامين بلونا فيها حقيقته وعرفنا فطرته المتدينة وتضحياته الرهيبة في سبيل أن تقوم دولة للإسلام بعد مضي مائة وخمسين عاماً من القتل والاستعباد قبل التقسيم ؛ وواثقون أننا نسوق الخير إلى حكومة باكستان التي لن يبق على سلطانها على شعبها إلا الإسلام . إن بين (شتاجونج) و (كراتشي) قرابة أسبوعين في البحر والاختلاف بينهما شديد في اللغة والعادات والتقاليد ، وليس يجمعهما إلا « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، يقابل ذلك في الناحية الأخرى ثلثمائة مليون من الهندوك يجمع شملهم التعصب المقيت الرهيب للهندوكية ، وكل باكستاني يعلم أن جماعة (المهاسا) الخطرة هي ذات النفوذ في سياسة الهند ، فكيف تواجه الباكستان ذلك كله إلا بالمقيدة ؟ بل لماذا وجدت الباكستان إذ ذاك وحدت التقسيم ؟ ونحن حين نقول « المقيدة » لانني طبعاً — وذلك أمر يفهمه ويؤمن به أكثر الباكستانيين — التمام والشعور أو الأمان والوعود ، ولكن نغني بها الأوضاع البليسة التي تقوم على أصول الإسلام . دليلاً على أن الأمة قد أسلمت حقيقة لله رب العالمين ... هذه الأوضاع التي طال شوق الناس إلى أن يروها في باكستان بعد الوعود الكثيرة وبعد قرار المجلس الدستوري بأهداف الدستور الجديد . إن تطبيق الإسلام هو التفسير الوحيد لمسبب قيام باكستان وتقسيم الهند ، وهو يوحده الضمان لبقاء باكستان وقوتها ، ولن تجد باكستان بدونه رأياً عاماً يندمصر لها ، أما ما تجده من عطف الدول الكبرى ، العطف الذي قد يبدو أنه لا فضل للإسلام فيه ، بل ربما قواه البعد عن الإسلام ، فهو عطف كاذب يستجني الهند الكبيرة ثماره لأنها في ميزان المصالح الدولية أولى به .

نقول ذلك بمناسبة اضطهاد كثير من علماء الإسلام في باكستان وحمله الصحف عليهم ، ثم القبض على الأستاذ أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية وسائر قادة الجماعة والحكم عليه بالإعدام ... ونحن حين نقدر تخفيف هذا الحكم فيما بعد إلى السجن أربعة عشر عاماً نطالب بالإفراج عنه ، ونلح في ذلك ، مؤمنين أن في ذلك خير باكستان حكومة وشعباً .

فلسطين :

قدم وفد كريم من أهل غزة المذكورة التالية إلى وزراء خارجية الدول العربية :

« منذ خمس سنوات ملأت أجواء فلسطين لإذاعات الدول العربية ، وتداولت أيدي أبنائها بحيف الدول العربية ، وكلها نداءات لأهل فلسطين بالصبر والمصابرة والحفاظ وكلها نخوة ونجدة وعهود بالزحف والفوت ووعود برد للعدوان وإلقاء أهل هذا البلد المنكود من العصابات اليهودية مما ملأ النفوس عزة وكرامة وحولها إلى عزيمة واستبشار .

وفي خلال خمس سنوات فقد الفلسطينيون أوطانهم وأموالهم وانتكحت مقدساتهم وزعزعت عقائدهم وتحطمت مثلهم ، وسبوا الفل والحسف ، وعانوا الجوع والمرض ، وصبروا صبر الكرام ، يعيشون على الأمل السعيد ، والحلم الذهبي ، والأمانى المعسولة ، بأن استرداد الحقوق واستعادة الكرامة والعودة إلى الوطن ، كل ذلك يتحدث به الساسة العرب أن يومه قريب وتحقيقه واقع غداً أو بعد غد وفي هذا الشهر أو الذي يليه .

خمس سنوات سلخها اللاجئون في اتس ظروف مرت على بشر وفي أسوأ أحوال عرفها الناس وفي كل سنة يكون الأمل فيها أبعد من التي سبقتها ، لا يفعل بفعل سياسة الدول الاستعمارية بحسب بل بفعل عملاتها بين سياسة العرب أيضاً ، الأمر الذي كانت من نتائجه تقويض العروش وانقلاب الحكومات وتغيير النظم وتبديل المفاهيم .

ولكن هذه التغيرات في البلاد العربية والتي أعادت الأمل إلى سابق حياتها ، لم يلمس لها أثرها المأمول لا في وضع القضية الفلسطينية ، ولا في منع استمرار تدهورها وسقوطها . وإذا كان للفلسطيني أن يحاسب القائمين على أمر قضيتهم ، وهو حق ولا شك ، فإنه يلحظ أن بوادر تصفية هذه القضية قد بدأت تتخذ طريقها العملي تحت أبصار سياسة العرب وأسماعهم . فقد أصبحت وكالة الفوت بعد أن كانت مهمتها لإغاثة اللاجئين المؤقتة إلى أن تحمل قضيتهم ، أصبحت وكالة لتوزيعهم في البلاد العربية ، تحت ستار التشغيل وإعالة أنفسهم بأنفسهم ، مستعملة الشعار التخديري الساخر « على أن لا يمنع ذلك اللاجئين من حقهم في العودة إلى ديارهم » .

ولقد اشتركت بعض الدول العربية عملياً في تنفيذ التصفية الجائرة ، بإنشاء المشاريع التي تهدف إلى إعمار بلد جرداء ، لقاء التنازل عن وطن كامل لا يحتاج إلى إعمار غنى موارده وتراثه وتاريخه فله كيف تقلب الأمور وكيف تحمل المشاكل !

لأن الصحف تتحدث عن مشاريع اليرموك وشينا وغيرها ، على اعتبار أنها أمور واقعة وأنها مشاريع في طريق التنفيذ ، في الوقت الذي لا تسمع فيه من مسئول واحد أي تكذيب لها لا بالفعل حتى ولا بالقول ، مما أودع في نفوس اللاجئين ، أن قضيتهم لم تعد قضية وطن بين أيدي الساسة العرب وإنما أصبحت قضية مساومة ، أو قضية بيع الجنازة ، ولم تصبح قضية تسم أو وحدة وطن ، وإنما أصبحت قضية اقتسام أكفان الميت وبيع جثته لإطعام الكلاب .

إن من المفروغ منه القول بأن إسرائيل خطر على البلاد العربية جماء ، وأن من البديهي أن معالجة القضية اليوم أيسر من معالجتها في المستقبل ، وأن لإسرائيل الفلسطيني عملياً في معالجة قضيتهم ، وأن مقاومة الإسكان بالقوة ، وأن تهديد مصالح الدول التي خلقت إسرائيل وتعمل على تثبيتها ، كل هذه الأمور هي أنواع من المحكفاح من أجل القضية ، وإلها والتراخي عنها قتل للقضية وتصفية لها وتضييع للقضية الفلسطينية وتصفيتيها ، وفرصة جديدة لإسرائيل ، فتج لها الانتقال إلى

مرحلة أخرى من مراحل سياستها المبيتة للتوسع ، ومواجهة لخطر جديد من أخطار إسرائيل .
إن اللجنة التنفيذية تؤتمر اللاجئين بقطاع غزة تتقدم إليكم مملنة بلبان مثنى ألف مهاجر ،
يمثلون أماني جميع عرب فلسطين ، أن كل من يوافق على الإسكان من سياسة العرب ، خائن
لل قضية الفلسطينية ، وأن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن وطنهم العزيز وأنهم يرفضون الإسكان على
أى شكل وتحت أية غاية . وأنهم سيحاربون إلى النهاية هذا المشروع الذئبي ، وهم لن يتحركوا
قيد أنملة من الرقعة المباركة من وطنهم إلا إليه وحده ، وأنهم يفضلون الموت جوعاً وتقتيلاً على
الانتقال إلى أية بقعة أخرى .

لأننا نعلم حضراتكم رغبنا هذه ، ونطلب منكم أن تعدوا بياناً مشتركاً تملنون فيه رفضكم
لمشاريع الإسكان على أى شكل كانت ، وأن تملنوا باسم حكوماتكم أنكم تقاومون أى نوع من
أنواع التشغيل التي ستنتهي حتماً إلى الاسكان .

إن مطالبتكم بتنفيذ قرارات هيئة الأمم بشأن القضية الفلسطينية ، في الوقت الذي تعقد فيه
الاتفاقات مع وكالة الفوث بشأن التشغيل ، يصبح شيئاً لاعمى له ، فإن تناقض العمل مع القول
منه ابطال للقول وتحقيق للعمل .

وإذا كانت أوضاعكم لا تحتل هذا فإنها على التحقيق تحتل رفض الاسكان في أراضيكم فهو حقكم
وحدكم ، ولا يوجد أبداً حل لقضية فلسطين ، إلا بطريقتين لا ثالث لهما ، إما الاسكان في البلاد
العربية ، وإما الإعادة إلى الوطن ، ويستحيل أن يتم الأولى إلا بموافقة حكوماتكم ، ولاتم الأخرى
إلا برفض حكوماتكم . وليس بينكم من يجب أن يجمل نفسه بمار تضييع القضية الفلسطينية ،
ولا من يجب أن يدخل إلى داره شرارة الحريق والنقمة .

تدويل القدس :

أعادت زيارة دلاس وستيفنسون إلى القدس تلك الحركة التي كانت تهدف لتدويل القدس
إلى الظهور بشكل سافر صريح : فقد اتصل بعض الشخصيات المسيحية في القدس بهذين السياسيين
الأمريكيين بشأن التدويل ، وطيروا عدداً من البرقيات إلى أيزنهاور والبابا وغيرها ؛ ولأول مرة
تؤيد التدويل بعض الصحف في القدس .

والغريب في الأمر أن الحكومة الأردنية التي ما فتئت تعارض في التدويل أشد معارضة نراها
اليوم لاتبين برأى صريح في هذا الموضوع .

إن حالة القدس الاقتصادية قد بلغت في تدهورها الحضيض (١) ووصلت إلى غاية تفلتت معها
وطنية بعض المواطنين من المسيحيين على الخصوص - فضلاً عن أثر دس الأجانب القائمين على الإدارة التابعة
لختلف الكنائس - فتلمسوا العون لدى الفاتيكان والقصر الأبيض وغيرها من معاقل الشقاء لهذا
الشرق منذ قام البابا أوربانوس بؤاب أوروبا على المسلمين بحجة إنقاذ « قبر المسيح » من أيديهم .
إن تدويل القدس ينطوي على أشد الأخطار التي لم نزل ننبينها في كل مناسبة (٢) والمؤسف
أن الحكومات العربية لا تزال تجهل أو تنجاهل هذه الكارثة المحدقة فتطالب هيئة الأمم
 بتنفيذ مشروع التدويل .

ولنا قريباً عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

(١) اقرأ (القدس بين التهديد والتدويل) في العدد التاسع من السنة الأولى من « المسلمون » .

(٢) أنظر افتتاحية العدد السادس من السنة الثانية من « المسلمون » (في بيت المقدس) .

أخبار متفرقة

- أعلن في مصر النظام الجمهوري خلال فترة الانتقال ، وصحب ذلك إعلان الرئيس القواء أركان حرب محمد نجيب رئيساً للجمهورية ، وتشكيل وزارة شبه عسكرية . والله تعالى نسأل أن يكتب لمصر الخير الذي يحبه ويرضاه .
- يزور مصر هذا الشهر السيد محمد علي رئيس وزراء الباكستان ، ولا شك أنه سيجد من ترحيب مصر حكومة وشعباً ما يجعله يطمئن إلى العاطفة التي تربط باكستان بهذا الجزء من الوطن الإسلامي الكبير ويستشعر الأمانة الكبيرة في عنق باكستان .
- تشغل مشكلة القدس بال دوائر العليا في وزارة الخارجية الأمريكية ، وقد كانت من بين المسائل التي تضمنها تقرير مستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية عن رحلته الأخيرة في الشرق الأوسط .
- هاجم القس سمول دوق أدنبرة — زوج الملكة إليزابيث — لأن الدوق ذهب إلى الكنيسة في الصباح ، وأدى الصلاة ، ثم ذهب بعد الظهر إلى النادي ولعب البولو ، وقال القس : إن التقاليد المسيحية في إنجلترا لا تسمح مطلقاً بلعب البولو يوم الأحد ، بوضفه يوم عطلة دينية .
- ثم قال القس : أن مثل هذا الخلق يدعو إلى الأسف وإتيجه إلى أعضاء المجتمع الديني في جلاسجو باسكتلندا وقال : كيف يجوز لزواج الملكة أن يصر على عدم احترام هذا اليوم المقدس ؟ وقد صفق الحاضرون موافقين على ملاحظة القس سمول وقد صرح بأن أغلب قساوسة إنجلترا يؤيدونه في انتقاد تصرف زوج الملكة .
- هذا الخبر نهديه إلى المسؤولين عن حفلات حديقة الأندلس المأجنة وإذاعتها في ليالي رمضان حتى في ليلة القدر .
- أرسل رئيس تحرير « المسلمون » البرقية التالية إلى الحاكم العام لباكستان :
« الحكم بإعدام الأستاذ المودودي واضطهاد العلماء أزعج المسلمين كل الإزعاج فأناشدكم أن ترفعوا هذا الحكم القريب الجائر لمصلحتكم ولمصلحة الحركة الإسلامية التي ظنت أنها وجدت وطناً حراً في باكستان » كما أرسلت برقيات أخرى من الجماعات الإسلامية في مصر ، وقد خفف الحكم إلى السجن ١٤ سنة . ولا تزال هذه الجماعات تطالب بالافراج عنه .
- سألت المعارضة موسى شاريت وزير الخارجية الإسرائيلية عن البيان الذي ألقاه مستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية ، فأجاب بقوله : إن حكومته لا تعتبر هذا البيان معبراً عن سياسة أمريكا الرسمية . وأضاف إلى ذلك قوله : إن حكومة إسرائيل لم تغير موقفها بشأن المسائل التي تختص بالمحافظة على كيان إسرائيل ، أو مشكلة اللاجئين العرب ، أو الوضع بالنسبة لمدينة القدس .
- زار السيد محمد منتصر رئيس وزراء ليبيا المستر سلوين لويد وزير الدولة البريطانية للشئون الخارجية ليجت معه سير المحادثات الخاصة بمقدمة معاهدة صداقة بين البلدين .
- أعلن وزير مالية إسرائيل عن مشروع مدته عشرون عاماً لإنشاء صناعة كيميائية ومعدنية كبيرة في جنوب صحراء القبة المتاخمة لصحراء سينا .
- وسيتكلف تنفيذ هذا البرنامج حوالي مائة مليون جنيه استرليني . وتوفره الحكومة والأفراد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات هذا العدد

صفحة	المحتوى
١	هذا القرآن لفضيلة الأستاذ حسن المضيبي
٨	الجهاد في شريعة الله لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة
١٤	تحديد الصلة بين عالم المادة وعالم الروح لأبي نهمان المهاجر
١٦	مجمع عالمي للأستاذ سيد قطب
٢٤	خاطرة : القيادة الخالدة للتحرير
٢٥	من فقه القرآن والسنة للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
٣٠	الوطن لله للأستاذ سعيد رمضان
٣٣	النظام الرأسمالي الجديد للأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي
٢٩	أبها المحلفون
٤٤	الإسلام والملفات الذوية للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوي
٤٩	سنة أينما إبراهيم (قصة تمثيلية) للأستاذ علي أحمد باكثير
٥٥	السياسات الاقتصادية في الإسلام للأستاذ محمود أبو السعود
٦٠	العبرة في يوم حنين للأستاذ محمد الطيب التجار
٦٣	الحكمة وراء نظام الإرث لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي
٦٨	التفاوت في الأرزاق للأستاذ الدكتور محمد صالح (رحمه الله)
٧٢	سبحان فكر للأستاذ الدكتور عبد الوهاب هزام
٧٤	ندوتنا
٨٢	باب الكتب : نقد وتعريف
٨٦	إن لبدنك عليك حقا بإشراف الأمير لاي الدكتور أحمد الناقه
٨٨	مع العارفين : عون بن عبد الله بن عتبة للتحرير
٩١	مع الدعوة والناس
٩٢	لحظات الإشراف الفني (شعر) للقاضي محمد محمود الزبيدي
٩٦	اللهيب المظلم (شعر) للأستاذ محمد مجذوب
٩٦	إخواننا في نيجيريا للتحرير
١٠٠	في أفق العالم الإسلامي للتحرير
١٠٤	الفهرس